

المسحاة

مجلة

المجلد الثامن عشر
الجزء الخامس



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

(المجلد الثامن عشر)

٣٢١

(الجزء الخامس)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين عدّاهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و« منارة كمنار الطريق »

مصر ٣٠ رجب ١٣٣٣ - ٢١ الجوزاء (٣) ١٢٩٣ هـ ش ١٣ يونيو ١٩١٥

[العدد: ج ٥ م ١٨] العلوق وسبب الذكورة والانوثة ومدة الحمل ٣٥٣

مَدَامُ ذَاتُ الْبَيْضِ وَالْأُنْثَى

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

V

العلوق وسبب الذكورة والانوثة ومدة الحمل

إذا تلقحت البويضة سقطت في الرحم بسبب ما في البوقين من الأهداب وبسبب انقباضهما ويجوز أن يكون للبويضة أيضا حركة ذاتية كالأميأ وأرجح الاوقات لحصول الحمل أن يكون الجماع عقب الطهر في الاسبوع الاول من الحيض، ويقال إن هذا الجماع محرم عند اليهود وهو من غرائب التشريع وبويضات المبيض الايمن يرجح عند بعض العلماء الآن أنها هي التي يتولد منها الذكراء وبويضات المبيض الايسر يتولد منها الانثى، ولذلك اذا نامت المرأة على جانبها الايمن بعد الجماع رجح انيائها بالذكراء وقد عرف هذه الفائدة ابن سينا كما في قانونه

فاذا كان الجماع بعد حيض متفق مع انفجار بويضة المبيض الايمن كان النسل ذكرا، وبالعكس

وإذا سقطت البويضة في الرحم علقته بغشائه المخاطي وأبدأ تكون الجنين في داخلها بانقسامها الى عدة أقسام. ويكون الجنين في بطن أمه محاطا بالرحم ثم بغشائين آخرين تابعين لنفس البويضة. وتكبر البويضة كبرا عظيما وتمتلئ بسائل يحيط بالجنين من جميع جهاته يسمى السائل (الامنيوسي^(١)) ويكون الجنين معلقا في

(١) كلمة يونانية معناها الشاة لانه يقال انه اكتشف فيها أولا أو لان ملمسه ناعم كصوف الشاة

٣٥٤ شبه الجنين . أطوار الجنين - النطفة [المثار : ج ٥ م ١٨]

هذا السائل بحبله الشري المتصق بالمشيمة بجدار الرحم، ويكون رأس الجنين الى الأسفل غالبا وظهره الى الامام . ولا يفهم مما تقدم أن عروق الجنين متصلة بعروق الرحم بل هما متجاورين فقط بحيث لا تختلط دورتهما الدموية ، ولكن المواد المغذية تصل من الأم اليه بطريق (الاسموز) وكذلك المواد الفاسدة التي تخرج من الجنين تصل الى دورة الام بهذه الوساطة ايضا بلا اختلاط بينهما . ولا يتنفس الجنين في بطن أمه وإنما دمه يتنقى بالطريقة المذكورة ، وأول تنفسه يكون عند استهلاله أي صراخه عند خروجه من الرحم

ومدة الحمل أقلها خمسة أشهر أو أربعة ونصف، وأكثرها أحد عشر شهرا . وقد يحصل في أحد البوقين حمل أو في البطن خارج الرحم وفي هذه الحال قد تحمل الام جنينها ميتا عدة سنين ولكن لا تضعه الا بعملية جراحية

شبه الجنين

يقال إن شبه الجنين تابع لمقدار الحيوانات المنوية الملقحة للبويضة فاذا دخلت بكثرة في البويضة أشبه أباه سواء أكان ذكرا أم أنثى، وإذا كانت قليلة أشبه أمه كذلك ، فاذا كان الجماع بشدة ومقدار المني كثيرا وأنزل الرجل قبل المرأة كثير دخول الحيوانات المنوية في البويضة فأشبه الولد أباه ، أما اذا كان مقدار المني قليلا وأنزلت المرأة قبل الرجل بطلت حركة الامتصاص من رحمها ، فنظرا لذلك ولقلة مقدار المني يصل عدد قليل من الحيوانات المنوية الى البويضة فيكون الولد شبيها بأمه، سواء أكان ذكرا أم أنثى، ولذلك روى البخاري أن رسول الله (ص) قال « اذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد » أي لانه في هذه الحالة تبطل حركة الرحم في جذب المني اليه فتكون الحيوانات الداخلة فيه اقل مما اذا حصل القذف اثناء حركة الرحم اي قبل انزال المرأة. والولد كل مولود ذكرا كان أو أنثى

النطفة والعلاقة وأطوار الجنين وغير ذلك

مما تقدم يفهم ان الانسان مخلوق من البويضة الملقحة بحيوانات الرجل، وهذه هي النطفة الامشاج التي ذكرها القرآن الشريف (٢:٧٦) فان النطفة هي كل ماء

قلّ أو كثر، ففي الرجل نطفة وبويضات المرأة مع السائل السابحة فيه المنفرد من حويصلات (جراف) ومن البوق يسمى أيضا نطفة، والامشاج الاخلاط، فاختلاط المني بهذا السائل الذي فيه البويضة هو الضروري للحمل ولا يتوهمن احد ان نزول البويضة من المبيض مما تشعر به المرأة أو تلتذ له بل هو شيء لا تشعر به مطلقا

ولا يمكن رؤية البويضة بالعين المجردة وان كانت من الخلايا الحيوانية الكبيرة، فان قطرها ٠.٠٢ من المليمتر. اما قطر كريات الدم البيضاء فهو ٠.٠٠١ وقطر الجراء ٠.٠٠٧٥ من المليمتر

واعلم أن الخصيتين تتكونان في الجنين في بطنه خلف البريتون وتحت الكليتين بقليل ثم تنزلان شيئا فشيئا حتى تكونا في الصفن في الشهر التاسع من الحمل فاذا ولد الجنين قبل ذلك في الشهر السادس مثلا كان الصفن خاليا منها وفي أثناء التكوين تنقسم بويضة المرأة كلها داخل غشائها الذي يمتد تدريجيا كلما كبرت وكذلك بويضة الحيوانات الثديية، أما بويضة الطيور فينقسم جزء منها فقط — كما تقدم —

أما العلة المذكورة في القرآن الشريف فهي أول أطوار الجنين وتكون مركبة من عدة خلايا صغيرة ككريات الدم لم يتميز شيء من أجزائها، وهذه الخلايا تنشأ من انقسام البويضة بعد التلقيح الى عدة خلايا فلذا تشبه علة الدم^(١) (Clot) خصوصا التي تتركب من الكريات البيضاء التي تسمى بالانكليزية (Buffy coat) (راجع ص ٤٨ من هذا الكتاب وص ٤١٠ من كتاب فسيولوجيا هاليبرتون Halliburton)

فاذا نمت هذه العلة أخذت تتنوع خلاياها وتتميز بعض أجزائها عن البعض الآخر، ويكون حجمها في آخر الشهر الاول كحجم بيضة الحمامة وهي (المضغة) لأنها تكون قدر ما يمضغ في الفم، وبعضها مخثاق والبعض الآخر غير مخثاق كما قال تعالى

(١) يجوز ان يراد بالعلق في قوله تعالى (خلق الانسان من علق) الحيوانات المنوية التي تلقح البويضة

٣٥٦ أطوار الجنين كما ذكرها القرآن طبق العلم [المنار : ج ٥ م ١٨]

في سورة الحج (٢٢ : •) وما يظهر في ذلك الوقت الاطراف العليا والاطراف السفلى ، ويتميز القسم الايمن من القلب عن القسم الايسر ، ثم تظهر آثار العظام الاخرى

وفي الاسبوع السابع يتبدى ظهور العضلات بعد ظهور العظام المذكورة ، وذلك بتنوع الخلايا التي كانت تحيط بالعظام ، والمراد بالعظام هنا الفضاريف التي تصير عظاما كما أن المراد بالحرق في قوله تعالى (أراني أعصر خرا) العنب الذي يصير عصيره خرا فإذا تم نمو الجنين وولد خرج وهو لا يدري شيئا ثم يتعلم كل شيء بالتدريج حتى يصير كأنه خلق آخر فبعد أن كان لا يعي شيئا يصبح يخترق الحجب بعقله ويصل الى الملكوت الاعلى بفكره (فتبارك الله أحسن الخالقين)

وما تقدم نجد أن الاطوار المذكورة في القرآن هي عين الحقيقة وهاك بيانها كما وردت في سورتي الحج والمؤمنين : —

(١) طور النطفة وهي الماء فتطلق على مني الرجل وعلى السائل الذي تسبح فيه البويضة ، وأصله من حويصلة جراف ومن البوق — كما سبق —

وفي هذا الطور تلقح الحيوانات المنوية البويضة فتكون النطفة — بعبارة القرآن — أمشاجا

(٢) طور العلقة وهو طور انقسام البويضة بعد تلقيحها الى عدة خلايا متماثلة لا تمتاز واحدة منها عن الاخرى ، وتكون كقطعة الدم الجامدة

(٣) طور المضغة وهي البويضة اذا كبرت حتى صارت قدر ما يمتصغ ويكون بعضها مخلقا وبعضها غير مخلق. وهو طور التخليق والتكوين الابتدائي

(٤) طور الانعام وذلك يتبدى بظهور الاجزاء الرخوة كالعضلات التي تكسو العظام ، وينتهي هذا الطور بنام الخلق

(٥) طور الترية والتعليم بعد الولادة وهو المعبر عنه في القرآن بالخلق الآخر لان الانسان الذي كان أحط من الدابة يصبح أرقى الاحياء قاطبة . لذلك قال سبحانه جل شأنه (وقد خلقكم أطوارا)

هذا وقد يحصل التلقيح فاذا وصلت البويضة الى الرحم وعلقت به وماتت

[المنار: ج ٥ م ١٨] الولادة. أسباب الحمل التوأمي ٣٥٧

بسبب ما كاتهاب غشائه طردها الرحم. أو امتصها وهذا الامتصاص هو المعبر عنه في القرآن الشريف ٨: ١٣ بقوله « وما تغيض الأرحام » وقد يمتص الرحم الجنين أو أحد التوأمين في أحوال أخرى

أما قوله تعالى (يخلقكم في بطن أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث) فالظلمات إما أن يراد بها ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة الأغشية الجنينية المحيطة بالسائل الأمنيوسي

وأما أن تكون الظلمات هي: ظلمة المبيض الذي تتكون فيه البويضة في داخل حويصلة جراف ، ثم ظلمة البوق حينما تتلفح البويضة بالحيوانات المنوية ، ثم ظلمة الرحم الذي يتخلق فيه الجنين

وفي أثناء الولادة تنقب أغشية الجنين وينسكب ماؤها فيخرج الجنين ثم تتبعه هذه الأغشية مع المشيمة (وهي أغلظ جزء في الأغشية وفيها يندغم الحبل السري ومنها يتغذى الجنين واليا تخرج فضلات جسمه) وأيضا تسقط أغشية الرحم ، ثم تتجدد بعد الولادة . والجنين في بطن أمه لا يتنفس ولا يأكل ولا يشرب وإنما يأخذ من دم أمه بكل ما يحتاج اليه ، وكذلك لا يتبرز بل تتجمع في أمعائه إفرازات الكبد والأمعاء وتخرج بعد الولادة وتسمى بالبرقي

وقد يبول الجنين في بطن أمه في أشهره الأخيرة فإن السائل الأمنيوسي وجد فيه مقدار قليل من البولينا بسبب بول الجنين فيه

ومقدار السائل الأمنيوسي نحو لتر أو اثنين عادة ، ووظيفته حماية الجنين من الضغط عليه ، وحفظه من التصاقه بالأغشية وتمديد عنق الرحم عند الولادة وغسل المهبل حينئذ

والجنين يتحرك في بطن أمه بنفسه وبحركاتها وهذه الحركات تشعر بها الأم، وتبتدىء في الشهر الخامس غالبا

وقد يحصل حمل فوق حمل بمعنى انه اذا حصل جماع بعد الحمل الاول ببعض أسابيع يجوز أن يحصل حمل آخر ، وهذا غير الحمل التوأمي المشهور ، فان صبه أن تتلفح فيه بويضتان أو أكثر في وقت واحد أو وقت قريب ، أو يكون

٣٥٨ أسباب العقم . منع الحمل . تدبير الجماع [المنار: ج ٥ م ١٨]

للبيضة الواحدة أكثر من نواة، وإذا كانت البويضات من مبيض واحد كانت التوائم من نوع واحد ذكرا أو أنثى بحسب المبيض اليمين أو اليسار . وتكون التوائم أيضا من نوع واحد إذا كانت ناشئة من بويضة واحدة ذات نويات متعددة

أسباب العقم

هذه الاسباب عديدة ، منها : أن يكون السبب فساد زرع الرجل لمرض في خصيتيه ، ومنها مرض المبيضين أو البوقين أو الرحم نفسه، أو وجود افرازات في المهبل شديدة الحوضة بحيث تقتل الحيوانات المنوية . وأشهر الامراض التي تحدث العقم في الرجل والمرأة داء السيلان . ومن الاسباب أيضا الجماع المختلط كما في الزنا بأن يتوارد عدة رجال على امرأة واحدة ولذلك قيل في المثل الإنجليزي « لا ينمو العشب حيث يكثر دوس الاقدام »

ومن الاسباب أيضا ما لم تعرف الى الان حقيقته كأن تكون المرأة والرجل سليمين من كل آفة ومع ذلك لا يأتیان بنسل فاذا تزوج هذا الرجل امرأة أخرى وتزوجت هي رجلا آخر أنتج كل منهما

وإذا أريد منع الحمل فلا طريقة أحسن لذلك سوى قتل الحيوانات المنوية أثناء الجماع، وذلك بنع سوائل أو غيرها في المهبل تكون قتالة لها كمحلول السليمان بنسبة ١ — ٢٠٠٠ ومحلول حمضي من سلفات الكينين ، فتغرس قطعة من القطن بهذه السوائل أو غيرها وتحشى في المهبل بحيث تسد فوهة الرحم، فهذه الطريقة في الغالب قد تبطل الحمل ما دامت مستعملة فاذا تركت غاد الحمل

مراعاة الصحة في الجماع

الاكثر من الجماع ضار جدا مؤد الى الضعف الجسدي والعصبي ويعرض الانسان الى امراض كثيرة كالالتهابات الكلوية والشلل العام للمجانين ويحدث الاصفرار وخفقان القلب وضعفه فلذا يجب اجتناب الافراط فيه ، والحمود منه طبا هو ما نصوا عليه في كتب الشرع وهو انه ينبغي اذا اشتبه النفس اشتاء حقيقيا بدون أن يهيج الانسان شهوته يهيج مآا . وتختلف الرغبة في الجماع والقدرة عليه باختلاف الاشخاص ، ولذلك لا يمكن تحديد القدر الصحي منه بالضبط ، والغالب

[المنار: ج ٥ م ١٨] مزار الاستمناء باليد والعزل ٣٥٩

انه لا يضر الانسان اذا أتاه مرة أو مرتين في الاسبوع بشرط أن يكون سليم البنية قوي الجسم

ولا يجوز اتيان الحائض شرعا وطبا — كما سبق بيانه — وكذلك لا يجوز الجماع عقب الاكل مباشرة ولا عقب التعب الجثامي او العقلي الشديد. واحسن وقت له ان يكون بعد مضي الثلثين من وقت النوم او النصف فان النوم بعده نافع للجسم مانع من اصابته ببعض الامراض كالزكام والسعال وغيرها مما قد ينشأ عن الضعف الذي يحدثه. اما ضرره في اول الليل فهو لان الجسم في ذلك الوقت يكون تعبنا والمعدة في الغالب تكون ممتلئة فلذا يحسن النوم قبله وبعده.

ومن اهم ما يقوي الجسم وينشطه على هذا العمل ويزيل الآلام ويمنع بعض الامراض التي قد تنشأ عنه — الغسل خصوصا بالماء الحار، ولذلك كان الغسل واجبا شرعا

أما الاستمناء باليد فهو من أضر الاشياء للصحة والعقل وهو أضر بكثير من الافراط في الجماع ، فانه يضعف قوى الجسم والمخ والاعصاب ، وكثيرا ما يصاب صاحبه بالهرع أو الجنون. وهذا الضرب من الاستمناء يسمى أيضا (جلد عميرة) وينسبه الافرنج الى رجل من بني اسرائيل من أبناء يهوذا يسمى (أونان) ولكن الوارد في التوراة أن هذا الشخص كان يأتي العزل لا الاستمناء باليد وغضب الله عليه لانه لم يرد ان يقيم نسلا لاخيه (راجع سفر التكوين ٦: ٣٨ — ١٠)

ومن البنات من تفعل هذا الفعل القبيح أيضا خصوصا اذا كان يظهرها كثيرا ولم يقطع

أما العزل من الوجهة الطبية فهو أيضا مضيع للذة مضر بالصحة ، والظاهر انه مكروه في الشريعة الاسلامية، ولذلك بين رسول الله (ص) في الحديث السابق انه من العبث الذي يتنزه الماقل عنه، خصوصا لانه مضيع للذة بلا فائدة محققة وقال فيه أيضا (ذلك هو الواد الخفي) وذلك لانه وإن لم يكن مانعا محققا للنسل فهو لاشك مقلل له كثيرا فكان اتيانه لذلك مذموما لانه ينافي كثرة التناسل التي حث عليها رسول الله (ص)

مضار الزنا

للزنا مضار كثيرة، منها الاصابة (١) بالداء الافرنجي (٢) أو السيلان (٣) أو القرحة الاكالة (٤) أو القرحة الرخوة (٥) أو القمل العاني وغيره . ويوجد بعض أمراض أخرى جلدية وباطنية قد تعدى بسببه مثل الجرب والارضة (Tinea) والسل الرئوي . ولا تنس مع هذا مضاره الادبية والدينية والاجتماعية والمالية وكل هذه الاشياء الاخيرة ليس من غرضنا التكلم عليها هنا . واليك بعض تفصيل ما ينشأ عنه من الامراض : -

(١) الافرنجي : ويسميه الافرنج (Syphilis) وهي كلمة غير محقق أصلها ويمكننا أن نسميه بالعربية (التهویش) وبلسان العامة (التشويش) وأما كلمة الزهري فهي في الحقيقة نسبة لجبل الزهرة - كما سبق - وتطلق عند الافرنج على أهم الامراض التي تنشأ عن الجماع فهي عندهم ليست خاصة بهذا الداء . وأصله من أمريكا ودخل مصر بدخول الافرنج فيها ولذلك سمي « بالداء الافرنجي » ولهذا الداء ثلاثة أطوار :

(١) الطور الاول ظهور القرحة وهي شيء كالدمل يظهر في العضو مكان التلقيح بالميكروب، فمثلا اذا جامع الرجل امرأة مصابة بهذا الداء وكانت قروحها في فرجها فقد ينتقل اليه الداء وتظهر عنده هذه القرحة الاولى في فرجه أو ما قاربها كالعانة، وكذلك اذا قبلها في فمها مثلا وكان فيه شيء من قروحها وبثوره ظهرت في فمه أولا . وقد ينتقل بواسطة أدوات الاكل والشرب وغيرها وهذه القرحة تظهر عادة بعد خمسة أسابيع من الجماع أو التقييل وغيرها، وذلك لان ميكروب الزهري (وهو حلزوني الشكل) (١) اذا انتقل الى الانسان يتكاثر في جسمه حتي يمتلئ الدم به وعندئذ تظهر القرحة الاولى . ويسمى هذا الزمن الذي بين التلقيح بالميكروب وبين ظهور القرحة بطور الحضانة أو التفرج

(١) اكتشف هذا الميكروب سنة ١٩٠٥ وهو أدق وألطف من كثير من الميكروبات الحلزونية ، يسمى (Spirochaeta Pallida) والكلمة الاولى يونانية بمعنى الحلزون، والثانية لاتينية معناها الاكند (الباهت) لتعبر رؤيته بالمجهر

[المنار: ج ٥ م ١٨] الطوران الثاني والثالث للداء الافرنجي ٣٦١

ومما يساعد على دخول الميكروب وجود أي جرح أو سحج في بشرة الجلد الذي يلامس المرأة المصابة ولكنه غير ضروري، والقروح الافرنجية الاولى منها ما يكون صلبا ومنها ما يكون رخوا تسيل منه مدّة وصديده. وهذه القروح كثيرة في فروج الزناة والزانيات

(٢) الطور الثاني ظهور طفح مخصوص في الجسم كله، له أشكال متعددة، مع قروح في الاغشية المخاطية أيضا، وله أعراض أخرى غير ذلك كضخامة الغدد اللمفاوية في الجسم كله خصوصا في الاربية والقفا . وكانوا يقولون ان الطور الاول والثاني هما المديان دون الثالث . ولكن ثبت الآن حصول العدوى في جميع الاطوار الثلاثة ، إلا أنها في الاخير منها قليلة جدا أو نادرة . وإذا تزوج شخص مصاب أصيب نسله بالافرنجي أيضا . ويتبدى ظهور الطور الثاني بعد مضي ٦ أسابيع الى ٣ أشهر من ظهور القرحة الاولى

(٣) الطور الثالث هو عبارة عن ظهور اورام متعددة تصيب أي جزء من أجزاء الجسم، وهذه الاورام عبارة عن مادة تشبه الازرار اللحمية التي تلثم بها الجروح ، وتسمى هذه الاورام بالاورام الصغية . وإذا أصابت أي جزء من الجسم افسدته وشوهته ، وكثيرا ما تبطل عمله او تعطله على الاقل وهذا الطور يتبدأ بعد سنة او سنتين من مبدأ التلقيح وربما استمر الى نهاية العمر بأشكال متعددة تختلف باختلاف العضو المصاب

ومن المشاهدات الغريبة في أمر هذا الداء ان الطفل المولود من أب مصاب به لا يعمي أمه وانما يعمي المراضع الغريبات ويسمى ذلك بقانون كوللس [Colles] ويعلمون ذلك بأن الام تلقت بالمرض تلقت خفيفا لم تظهر أعراضه والافرنجي من الادواء العضالة التي يمكننا أن نقول انها من أهم الاسباب لامراض جميع أعضاء الجسم، ويؤثر في الاعصاب تأثيرا سيئا جدا فيحدث فيها أنواع كثيرة من الشلل والاكلام ، وقد يؤدي الى المرض المذكور سابقا المسمى بالشلل العام للمجانين . ويكفي في ذمه أن نقول ان ضرره ليس قاصرا على الشخص

(المنار: ج ٥) (٤٦) (المجلد الثامن عشر)

٣٦٢ السيلان . القرحة الاكالة والقرحة الرخوة [المنار : ج ٥ م ١٨]

نفسه بل قد يقتل جنينه في بطن أمه وإذا ولد كان النسل ضعيفا مشوها مصابا بالقروح المتنوعة وغيرها

وأحسن الادوية له في الطور الاول والثاني الزئبق ومركباته، وفي الطور الثالث يودور البوتاسيوم، وكذا حقنة ٦٠٦^(١) أو ٩١٤ في الاوردة أو في العضلات — وكل منهما مركب زرنيخي — استعمل أخيرا في معالجته، وسيأتي الكلام عليها تفصيلا في الجزء الثاني . وللوقاية منه يجب غسل ما لامس المريض غسلا جيدا بالماء والصابون ثم بالادوية المطهرة كالسلياني وغيره بنسب مخصوصة بعد اللمس مباشرة

(٢) السيلان

السيلان داء يصيب بعض الاغشية المخاطية وغيرها فيحدث فيها التهابا يسيل منه صديد، وله ميكروب مخصوص معروف . واكثر الاعضاء اصابة به الفرج والدبر والانف والعين — ويسمى فيها بالرمد الصديدي — ومن مضاعفاته التهاب الخصيتين والخراجات الاربية والتهاب المثانة والتهاب الرحم والبوقين والمبيضين وغير ذلك ، وقد ينشأ عنه مرض في المفاصل مؤلم جدا ويكون معضلا (عسر الشفاء) وهو من أعظم الاسباب المؤدية للعقم في الرجل والمرأة — كما سبق —

(٣) القرحة الاكالة

هي قرحة مخصوصة تضاعف القروح الافرنجية وغيرها ، ولكن حصولها في القروح الافرنجية أكثر منه في غيرها ، فاذا أصابت القضيب مثلاً أو الفرج أكلته كله أو بعضه وربما أفقدت الانسان خاصية التناسل طول حياته فيضيع نسله (٤) القرحة الرخوة البسيطة

هي قرحة أخرى لها ميكروب مستطيل الشكل أكثر ما تصيب الفرج في الذكور والانثى فتذهب منه جزءا صغيرا ، وكثيرا ما تسبب خراجا في الاربية أيضا وهي من أهون الامراض الزهرية (أي التي تنشأ من الجماع)

(١) اخترعت سنة ١٩٠٩ ميلادية وسميت بذلك لان مخترعها وفق اليها بعد

عمل ٦٠٦ من التجارب

(٥) القمل

يشاهد في كثير من الأشخاص قمل في رؤوسهم وأجسامهم وعانتهم. وهو ثلاثة أنواع، وينتقل من شخص الى آخر باللماسة أو المجاورة، وقمل الجسم هو السبب الوحيد لنقل الحُمى التيفوسية والحُمى الراجعة قطعا، فلذا يجب العناية بتنظيف الجسم منه. زد على ذلك كونه يحدث حكة في الجسم ويقلق راحة الانسان، وقد تنشأ عنه حمى غير الحُميات المذكورة آنفا لسم فيه أو لاضطراب عصبي يحدث من قرصه. ومن الطرق لازالته غلي الملابس وحلق الشعر والادهان بزيت الصخر (البترول) ومرهم الراسب الابيض - اذا كان الجزء المصاب محدودا - والا اكتفي بما ذكر قبله خوفا من امتصاص الزئبق الذي في هذا المرهم فيسم الجسم، وتجب اطالة مدة غلي الملابس فانه شوهد أن بعضه يعيش في طيات الثياب وان وضعت في الماء الغالي مدة خمس دقائق أو أكثر. ويبيض قمل الجسم (الصئبان) يشتمل أيضا على ميكروب الحُمى التيفوسية والحُمى الراجعة فاذا ققس وخرج منه قمل جديد كان ناقلا أيضا لهذين النوعين من الحُمى

(٦) الجرب

الجرب داء يصيب الجلد خصوصا ما بين الاصابع والفخذين وأعضاء التناسل. وينشأ من حيويين أصغر بكثير من القمل العاني يسمى باليونانية أكاروس [Acarus] (ومعناها لا يتجزأ) وله ذكر وأنثى، أما الانثى فبعد ان يلقحها الذكر تتخذ من الجلد جحورا تبيض فيها نحو خمسين بويضة ويبقى الذكر فوق سطح الجلد، فاذا أفرخت البويضات خرجت حيويينات جديدة، وانما تفرخ البويضات حينما تظهر على سطح الجلد بزوال البشرة وتأكلها بالتدريج، وتحمل الاناث من جديد وتثقب الجلد أيضا كامهاتها وهلم جرا، وما تحدثه هذه الحيويينات في الجلد من التهيج يكون سبب تحصل به حكة شديدة تنشأ عنها قروح وبثور تؤذي الانسان كثيرا

ومن أحسن طرق علاجه الاستحمام بالماء والصابون مع الدلك الشديد جدا حتى يزول جزء من البشرة وتنفثح الجحور بقدر الامكان ثم يدهن الجسم بمرهم

الكبريت ، ويجب غلي جميع الملابس وكل ما لامس جسم المصاب منعا لتكرار العدوى له أو انتقالها الى غيره ، ويتكرر الاستحمام والادهان بالمرهم بضعة أيام حتى يزول الداء

(٧) الأرضة

الأرضة داء — يسمى باللاتينية تينيا Tinea^(١) — يصيب الجلد أو الرأس أو الاطفاار فيحدث بهما التهابا وحكة ، وهو ينشأ من نمو فطر (أحياء نباتية مجهرية) في هذه الاجزاء . وأحسن علاج له النظافة التامة والادوية المطهرة كالمراهم الزئبقية والكبريتية وصبغة اليود ونحو ذلك ، ولكن يجب قبل ذلك تنف شعر المكان المصاب أو حلقه — والتنف أولى — وكذلك تغلى الملابس لمنع تكرار العدوى

(٨) السل

سنفصل القول في السل تفصيلا في باب الامراض المعدية ان شاء الله، ويكفي ان نقول هنا كلمة مختصرة في عدواه بطريق التنفس :

ينشأ هذا الداء من ميكروب مستطيل الشكل كالعصية ولذلك يسمى باللاتينية باسيلس (Bacillus) أي العصا الصغيرة^(٢) اكتشفه البكتيريولوجي الالماني الشهير المسمى كوخ (Koch) سنة ١٨٨٢ م وهو يوجد كثيرا في بصاق المصابين بالسل ويخرج أثناء السعال في ذرات البلغم وينتشر حول المصاب الى بعد متر ونصف تقريبا فيكون الجو حوله ملوثا به، فاذا دخل مع التنفس في رئة شخص مستعد لهذا الداء أصيب به، وذلك بتكون درنات صغيرة بيضاء اللون في الرئة أو غيرها، وهذه الدرنات تكبر وتتكاثر وينضم بعضها الى بعض وتحدث التهابا فيما حولها من الرئة ، ثم تستحيل الى قيح فتتأكل الرئة بسببها وتحدث فيها تجاويف تسمى بالكهوف . ويحصل سعال شديد مصحوب بدم أو صديد وترتفع حرارة المريض وتضعف قواه وينحف جسمه وبصاف بالارق من كثرة السعال وغيره وبالعرق الكثير بالليل، وقد يحصل له اسهال متعاص أو بحة في الصوت من التهاب الحنجرة وتقرحها وغير ذلك حتى تنهك قواه فيموت

(١) معناها الحرفي «الدودة القارضة» (٢) وبعضهم يقول «باشلس»

[المنار: ج ٥ م ١٨] مضار الزنا الاجتماعية . اللواط ضرره ومفسده ٢٦٥

مضار الزنا الاجتماعية

هذا واننا نختتم هذا المبحث بذكري ونصيحة اذا لم تكن من وظيفة الطبيب من حيث هو طبيب فهي مما يحسن منه من حيث هو انسان ، وهي التحذير من مضار الزنا الاجتماعية . وليس من غرضنا التكلم عليها هنا تفصيلا — كما قلنا — الا اننا نذكر الناس اجمالا بحقيقة لاتعزب عن عقل المفكر : تلك أن الزنا يقصد المحبة الابوية لنسل الزانيات فلا يهتم المرء بحياة الاطفال ولا بصحتهم ولا بقرينتهم ولا بمستقبلهم اهتمام من يعلم أن المولود هو ابنه حتى يؤثره على نفسه في كل شيء غالبا فيكثر بسبب الاهمال موت الاطفال أو قتلهم ، وتسوء صحتهم وتفسد أخلاقهم ، ويصبحون عائلة على المجتمع أو متشردين مفسدين . ولا تحسن الام وحدها القيام بتلك الشؤون على مالدتها من الشواغل والصوارف عنها ، كتحسين منظرها وملاقة الرجال المتنوعين والملق لكل منهم والتعجب اليهم ، فهذه الشؤون لاتدع لها وقتا ولا قلبا توجهه الى شيء آخر ، ولذلك ترغب الزانيات عن النسل ويقتلنه اذا وجد ، أو يلقين به في الطرقات ، وفي ذلك من الاضرار بالامة مافيه . زد على ذلك أن الزنا يحدث البغض والحقد والحسد بين الافراد والبيوت ، ويقطع كل رابطة للمودة والرحمة بين المرء وزوجه ، ويحمل الناس على خيانة بعضهم بعضا ، وعلى الكذب ، ويضيع الحقوق في الموارث المالية وغيرها ، فتفسد الاخلاق ، وتكثر الشجاء والمحاصيات التي تسفك فيها الدماء ، وتستباح الاموال والاعراض ، فتتنافر الامة ويتناقص عددها ، وتزول روابط المحبة من بين أفرادها ، وفي ذلك هدم وازالة لمرزها وسلطانها ، وتقويض لدعائم بنائها ، فتهبوي في مهاوي الفساد حتى تستقر في الدرك الاسفل من الفقر والضعف والانحطاط والتأخر . لذلك وصف الله تعالى الزنا بقوله (انه كان فاحشة وساء سبيلا) لما يوجد بين الناس من البغض والحقد والكره فيهدم أركان الاسرة أولا والامة ثانيا والمجتمع الانساني ثالثا

اللوواط

الامراض التي تنشأ عنه هي عين الامراض السابقة تماما ، وتزيد عنها غالبا في احداث جروح في الذكر وفي الشرج ، واذا تباعفت هذه الجروح ببعض

الامراض نشأ عنها مالا تحمد عقباه ، وترتخي عضلات الشرج حتى قد يسهل نزول البراز وغيره بغير ارادة الانسان ، وهو مفسد للاخلاق ومبيد للشهامة والرجولية ، وقاض على الآداب كافة ، وما انغمست فيها أمة الا انحطت وتدهورت لتغث رجالها وذهاب نجاتهم ومروءتهم وهمتهم ، فلا تصالح بعد ذلك لمقاومة اعدائها فيتغلبون عليها وتبديد شيئا فشيئا ، زد على هذا ان الرجال المنغمسين في تلك الشهوة الدنيئة يقل ميلهم إلى النساء كثيرا فيقل عدد الامة فتضعف أيضا من هذه الوجهة ، نعم ان اللواط أخف ضررا من الزنا من وجهة واحدة اجتماعية وهي انه لا تضيق بسببه الانساب ولا توجد به القعطاء ، فهو أقل بذلك اضاءة لحقوق العباد والاولاد . أما تحريمه فيكفي في بيانه ما ورد في القرآن الشريف في قصة لوط ، وأما حده فقد ورد فيه قوله تعالى على أصح التفاسير (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما) الآية فلولي الامر أن يؤذي أهل اللواط بما تنفق عليه الامة من العقاب الرادع لاهل هذه الطائفة المحقرة الدينية

وقد أجمعت الامم على استقباح هذه الشهوة البهيمية حتى سماها الانجليز « الرذيلة المغايرة للطبيعة » [Unna tural Vice]

سن الزواج بالفتيات

كتبت مقالة بهذا العنوان حينما أراد أحد المحامين المصريين (زكريا بك نامق) أن يطلب من الحكومة سن قانون يحدد فيه سن الزواج للبنات بالسنة السادسة عشرة ، ولاشتمال هذه المقالة على عدة فوائد تناسب الفصول السابقة في الكلام على الجهاز التناسلي أردت اثباتها هنا لافادة قراء محاضراتي هذه . وقد أنصف هذا المحامي الفاضل فكف عن اقتراحه هذا بعد ظهور مقالتي هذه في الجرائد ومقالات غيري من أفاضل الاطباء والفقهاء و [سحبه] بعد أن قدمه للجمعية التشريعية

وهاك نص مقالتي كما نشرت في عدد ١٠٩٥٦ من جريدة الاهرام الصادر يوم الخميس ١٢ مارس سنة ١٩١٤ - ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٣٣ :

لما لهذا الموضوع من العلاقة الكبرى بالشرعية الاسلامية الغراء وبالمسائل

العلمية والاجتماعية والقانونية أردت أن أمحصه تمحيصا ، وأحرر مسأله تحريرا ، ليصل حكمنا فيه الى نتيجة نافعة للامة مبنية على أساس متين من البحث والنقد حتى لا يكون مبنيا على التسرع وحب التقليد فأقول :

من المعلوم أن سن البلوغ تختلف باختلاف حرارة الجو والبيئة والوراثة . ففي الهند مثلا كثيرا ما تبلغ الفتاة في السنة التاسعة من عمرها ، ولكن في البلاد الباردة كإنجلترا نجد أن سن البلوغ هو من ١٤ - ١٦ سنة ، وفي البلاد التي هي أشد بردا منها يحصل البلوغ في السنة السابعة عشرة أو الثامنة عشرة . أما في مصر فالغالب أن يكون في السنة الثانية عشرة الى الرابعة عشرة ، وذلك في مثل مديرية الجيزة لافي مثل مديرية اصوان . والبيئة أيضا تأثير في زمن الحيض ، فانك ترى ان الفتيات اللاتي يكثرن من الاختلاط بالشبان يسرع مجيء الحيض اليهن ، وكذلك اللاتي يكثرن من قراءة الروايات الغرامية ونحوها ومشاهدة تمثيلها ، أما الوراثة فهي تؤثر أيضا في قرب زمن البلوغ فاذا بلغت الام وهي صغيرة جدا كانت ابنتها مثلها في ذلك

وفي سن البلوغ يكبر الحوض ويظهر شعر العانة وتكبر أعضاء التناسل والثديان وتستعد المرأة للقيام بوظيفتها التناسلية التي خلقت لاجلها . وقد اتفقت كلمة علماء التشريح على أن نمو عظام الحوض الذي من شأنه أن يؤثر في سعة أقطاره يتم في زمن البلوغ أو بعده بقليل ، وذلك لا ينافي أن التحام عظام الحوض لا يتم الا في نحو الخامسة والعشرين غالبا ، واذا حملت المرأة لانت مفاصل حوضها وتعددت ، لا فرق في ذلك بين الصغيرة والكبيرة ، وانما اذا تأخرت المرأة في الزواج ييسر عضلات العجان والرحم ، وربما نشأ عن ذلك اجهاض أو عسر في الولادة بسبب عسر تمدد هذه الاجزاء التي تفقد مرونتها الطبيعية كلما كبرت البنت ، ويغلب العقم أيضا فيمن يتأخرون عن الزواج

وقد وجد بعض الباحثين مثل (بروس ودنلوب) في بلاد الحبشة والبنغال أمهات لا يزيد عمر احدهن عن احدى عشرة سنة ، وكذلك وجد في أوربة (وان كان ذلك قليلا) أمهات ولدن أولاداً أصحاء في السنة الثالثة عشرة من

عمرهن حتى وجدوا بنتا حاملا في سويسرة في السنة التاسعة ، وظهور الحيض في هذه السنة ليس نادرا في أوربة كما تقول كتبهم

لذلك كله ولغيره اعتبرت الشريعة الانكليزية مثلا ان السن القانونية للزواج « عندهم » هو ١٤ للذكور و١٢ للاناث، أما زواج الاطفال القاصرين فتعتبره صحيحا بشرط أن لا يبدو من الطرفين اذا وصلا الى سن البلوغ طعن في العقد السابق (راجع صفحة ٥٦ من كتاب أصول الطب الشرعي لمؤلفيه جاي وفرير الانكليزيين) فمن أعجب المعجائب بعد ذلك ان يقوم بعضنا في هذه الايام ويطلب تضيق شريعتنا الاسلامية الفراء بما لم يفعله الانكليزي في بلادهم الباردة وهم أرقى منا بكثير في سائر شؤونهم العلمية والمدنية والاجتماعية !!

أما زعم هؤلاء المضيقين أن الفتاة اذا تزوجت قبل تمام نموها وقف هذا النمو فهو غير صحيح، بل تكذبه المشاهدة العامة، فان الحمل لاشك يسرع في تمام نمو الجسم كله، ولذلك نجد الفتاة بعد الولادة يكبر جسمها بأسرع من الفتاة التي لم تزوج. أما دعوى أن الفتاة اذا حملت وهي صغيرة ضعف جسمها عما اذا حملت وهي كبيرة فهي غير مسلمة ولا يمكن اثباتها اثباتا قطعيا وانما هي دعوى يرددها بعض الأطباء تقليدا لبعض بلا بحث ولا تمحيص، فان الفتاة الكبيرة تكون ليس أعضائها أكثر عرضة للعقم والاجهاض أو عسر الولادة من الفتاة الصغيرة - كما سبق - ولا يخفى ما ينشأ عن الاجهاض وعسر الولادة من المضاعفات المرضية كفقر الدم الشديد بسبب النزف الرحمي والتمزقات المعجانية وما يقبها كالتواصير وسقوط المهبل أو الرحم وغير ذلك، بل ربما قضت المرأة نجبتها في الاجهاض أو الولادة العسرة. نعم ان الطفل المولود من الفتاة الصغيرة يكون في أول الامر أصغر جرما من الذي ولد من الفتاة الكبيرة، ولكنه لا يكون أقل صحة منه، وصغر حجمه هذا لا يلبث طويلا بل يزول شيئا فشيئا مدة التربية. أما علم الوالدة بتربية الطفل فذلك يتوقف على مقدار ما اكنسبته في هذا الموضوع ودرجة صلاحيته وسهولة تلقينه لها أثناء دراستها المدرسية أو اليتيمية، فان كانت تلقت شيئا نافعا في هذا الامر ولو كان مختصرا أفادها أكثر من التي قضت سنين عديدة من حياتها الأولى في دراسة الجغرافيا

مثلا والهندسة والجبر

وإذا كانت الطبيعة لم تبخل على الفتاة الصغيرة باعطائها الحمل والولد فكيف ننظر عليها الزواج ولنا أعلم باستعدادها ولا أشفق عليها من الطبيعة؟^(١) وأي شيء جرى عليه الناس طبق سنن الكون ونواميس الوجود وكان ضرره غالبا على نفعه ومحققا كما يدعون في هذه المسألة؟ أليس التضيق الذي يطلبونه مصادما للشرائع الإلهية والقوانين الوضعية، بل والسنن الكونية؟ فأين دليل قطعي عديم عليه يستبدون؟ أما مضار تأخير زواج الفتاة بعد بلوغها في السنة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة كما هو الغالب عندنا في مصر فمنها زيادة الشهوة عندها التي قد تفسد أخلاقها أو تجرّها إلى الفسق أو اللطاف (استمناؤ المرأة بيدها) أو السحاق وكلها أشياء يشتد الميل إليها في أول البلوغ ولذلك يكثر وجودها في البلاد التي تتأخر فيها البنات عن الزواج. ولا حاجة بي هنا للتكلم على ما ينشأ عنها من المضار والمفاسد فإنها معروفة شهيرة، والأمساك عن الجماع مع فرط الشهوة مضعف للجسم والأعصاب، مؤد إلى سوء الخلق وضعف العقل، مورث للاستبصار أو الجنون والشقيقة وعسر الطمث، وغير ذلك وهناك بعض أسباب كثيرة ما تحمل الناس على التمعيل بالزواج كالفقير أو فقد من يقوم بشؤون البنت وتربيتها وكفالتها وحفظها من الوقوع في مهاوي الدنس والعار، ولذلك ترى أن الشريعة الإسلامية وغيرها كالانكليزية أباحت في جميع الأعمار حتى للأطفال، إلا إذا كانت البنت غير مطيعة للجماع، فيحرم في شريعتنا تسليمها للزوج حتى تطيق. وإذا عقد أولياء الأمر على طفل وطفلة أباح لها الإسلام فسخ العقد إذا بلغا ما لم يكن الذي تولى الأمر الأب أو الجد فأنهما أدري الأولياء وأعلمهم بمصلحة البنت وأشدّهم محافظة عليها وأكثرهم رغبة في نفعها الصحيح وإبعاد كل ضرر عنها. فأين عيب في هذه الشريعة حتى أردنا الخروج عنها والاشتمزاز منها، مع أنها تشبه شريعة الانكليزية في ذلك وهم من أرقى أمم الأرض الآن !!

(١) المنار: كان ينبغي لصديقنا الدكتور أن يقول هنا: وإذا كان الخالق العليم الحكيم قد أعد الفتاة في سن كذا للحمل الخ

وإذا علمت أن سن البلوغ يختلف باختلاف البلاد وأحوال أهلها تبين لك السبب في عدم تحديد الشريعة الإسلامية لهذه السن اشترطت بل اشترطت الاطاقة، ولم تمنع العقد على الاطفال، اما في ذلك من المنفعة للناس، كأن يريد شخص أن يضمن لنفسه الانتفاع بمال بنت أو جاهها أو الانتساب الى بيتها أو نحو ذلك، أو يكون له غرض آخر كالرغبة في النفقة عليها واحسان تربيتها لجمالها، أو لفقدائها الاهل والمعين من أقاربها

وبسبب سرعة البلوغ في البلاد الحارة كالمند وبلاد العرب فشت في الشرق عادة تزويج البنات الصغار كما هو معلوم، حتى أن عائشة رضي الله عنها كانت خطبت قبل رسول الله (ص) وعمرها سبع سنوات لجبير بن مطعم بن عدي، وهو يدل على أنها كانت قد قاربت البلوغ في تلك السن ولذلك عقد عليها الرسول (ص) وقتئذ ودخل عليها في التاسعة من عمرها، فالظاهر أنها كانت قد بلغت حينئذ كما هو الغالب في بنات العرب وأهل الهند وغيرهم من أهل الشرق كما سبق بيانه

أما المضار التي يذكرها المضادون لذلك الزواج فهي في الحقيقة ناشئة عن أحد أمرين أو عنهما معاً (الأول منهما) الدخول بالبنت قبل الاطاقة أو قبل البلوغ (الثاني) طريقة المصريين الوحشية في افقضااض البكارة، حتى أني شاهدت مرة بنتاً كادت تموت بنزيف شديد من تمزق في مهبلها نشأ من أصبح زوجها الوحش القاسي، ولكن العيب في ذلك ليس على الشريعة نفسها، بل العيب انما نشأ من الجهل والقسوة وعدم التزام حدود هذه الشريعة المراء التي فيها الكفاية لتقويم المعوج

وهناك فوائد أخرى غير ما تقدم لتزويج الفتيات الصغيرات البالغات (منها) أنهن يحرصن الشهوة في ضعف الرجال حتى انهن يكن سبباً في تقوية أجسامهم وعودة الحياة اليهم، فتزيد قوة الباه عندهم ويتحسن نسلهم. وقد عرف ذلك الاقدمون حتى انه ذكر في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى أن داود (عليه السلام) شاخ وكانوا يدثرونه بالثياب فلا يدفاً لشدة ضعفه فأشار عليه عبيده باحضار فتاة جميلة لتحضنه ليدفاً. ففعل ذلك وعاش بضعة شهور مع انه كان في غاية الضعف

[المنارج ٥ م ١٨] فوائد التزويج بالفتيات عقب البلوغ ٣٧١

والبرودة والاضمحلال (راجع الاصحاح الاول والثاني من سفر الملوك الاول) .
وكذلك فعل الامبراطور (طيباريوس) ليستعيد جسمه الضعيف حرارته الاولى .
وقد أشار (بورهاف) الشهير على عمدة بلدة (ساردام) الذي كان مبتلياً بالنقرص
بأن يبيت مع بنات فتيات ، ولما عمل بمشورته تجسنت حاله وزال مرضه (راجع صفحة
٤٦٢ من كتاب تاريخ الانسان الطبيعي) وقد جربوا ذلك العلاج أيضاً في الرومانزم
المزمن للشيخ فافاد كثيراً بعد ان يتسوا من الطب والدواء . وقال الكتاب
المذكور ما محصله :

« ان مساكنة البنات الفتيات ذوات الدم الوافر والصحة الجيدة يتطير منها
نشأة منعشة تخرق جسم الشيخ الجاف وتسخن دمه الضعيف الفاتر وتحرك فيه
الاعضاء الذابلة »

وذكر بعض العلماء أن من الشيخوخة من اسود شعره ونبتت أسنانه مرة ثالثة
بعد سقوطها بسبب معاشرة الفتيات الصغيرات ، وعادت اليه قوة الجماع . ولا شك
ان صحة البنات في وقت البلوغ تكون أحسن منها في جميع الاوقات الاخرى
فيؤثرن في الرجل تأثيراً قوياً مصلحاً ، فينتفع هو وينتفعن هن بجماله أو جاهه ،
خصوصاً اذا كان من أصحاب الملايين أو الملوك . واذا تزوج رجل مسن بعجوز
مثله ساء نسلهما جداً بخلاف ما اذا كانت هي صبية

هذا وليعلم القارئ أي لا أذكر هذه الامثلة هنا لكوفي ممن يريد أن ينفض
الشيخوخة عيش الفتيات بالتزويج بهن كلاً ؟ بل الغرض من ذكرها تميم البحث
وبيان فوائد زواج البنات البالغات الصغيرات واستقصاء تلك الفوائد كلها

والخلاصة أني أرى أنه ليس من الصواب تحديد سن الزواج بالسنة السادسة
عشرة من العمر بل الا صواب عندي أن توضع طريقة تحمّل الناس على شدة مراعاة
حدود الشريعة الاسلامية ، وأن يتركوا عاداتنا المصرية القاسية المعروفة في الزواج ،
وان كان لا مندوحة عن التحديد فليكن ذلك بعد بلوغ البنت بسنة ، أوليجروا في ذلك
حسب القانون المصري الحالي في مسألة عقوبة الفسق بأن يجعلوا سن الزواج (١٤)
سنة فافوق . هذا هو رأيي أبدي به باخلاص والله ولي التوفيق ، الهادي لاقوم طريق

مقام المشاهدة وعين الجمع^(*)

﴿الدرجة العليا في المشاهدة والفرق فيها بين التوحيد وتخييلات وحدة الوجود﴾

قال^(١) ﴿الدرجة الثالثة مشاهدة جمع تجذب الى عين الجمع ، مالمكة لصحة الورد ، رابكة بحر الوجود﴾ صاحب هذه الدرجة أثبت عند الشيخ في مقام المشاهدة ، وأمكن في مقام الجمع الذي هو حضرة الوجود ، وأملك لجل ما يرد عليه في مقامه من أنواع المكشوفات والمعارف ، ولذلك كانت مشاهدته مالمكة لصحة الورد ، أي تشهد لنفسها بصحة ورودها الى حضرة الجمع ، وتشهد كلها لها بالصدق ، ويشهد المشهود أيضا لها بذلك ، فلا يبقى عندها احتمال شك ولا ريب وهذا أيضا مورد للمحدد والموحد ، فالمحدد يقول : مشاهدة الجمع هي مشاهدة الوجود الواحد الجامع لجميع المعاني والصور والقوى والافعال والاسماء . وحضرة الجمع عنده هي حضرة هذا الوجود ، ومشاهدة الجمع تجذب الى عينه — قال — وصفة هذا الجذب أن يحمل الحق تعالى عقد خليفته بيد حقيقته ، فيرجع النور الفائض على صورة خليفته الى أصله ، ويرجع العبد الى عديته ، فيبقى الوجود للحق ، والفناء للخلق ، ويقوم الحق تعالى وصفا من أوصافه نائبا عنه في استجلاء ذاته ، فيكون الحق هو المشاهد ذاته بذاته ، في طور من أطوار ظهوره وهي مرتبة عبده ، فإذا ثبت الحق تعالى عبده بعد نفيه ومحوه ، وإبقائه بعد فناءه ، فطاد كما يعود السكران الى صحوه — وجد في ذات اسرار ربه ، وطور صفاته ، وحقائق ذاته ، ومعالم وجوده ، ومطارح أشعة نوره ، ووجد خليفته أسماء مسمى ذاته وعوده اليه ، فيرى العبد ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الاسماء المشيرة بدلائلها الى الوجود المنزه الاصل الموهوم الفرع ، فيودي استصحاب النظر الى أصله ، أن الفرع لم يفارقه هو الا بشكله ، والشكل على اختلاف ضروبه ، فمعنى عدمي تعين امكانه في وجوده

(*) مقتبس من الجزء الثالث من كتاب مدارج السالكين (١) يعني صاحب كتاب منازل السائرين

[المنار: ج ١٨ م ١٨] مقام المشاهدة ، تقريره على طريقة التوحيد ٣٧٣

فانظر مافي هذا الكلام من الالحاد والكفر الصراح، وجعل عين المخلوق نفس عين الخالق، وان الرب سبحانه أقام نفس أوصافه نائبة عنه في استجلاء ذاته، وأنه شاهد ذاته بذاته في مراتب الخلق، وان الانسان اذا صحا من سكره وجد في ذاته حقائق ذات الرب، ووجد خليفته أسماء مسمى ذاته، فيرى ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الاسماء المشيرة بدلالاتها الى الوجود « المنزه الاصل » يعني عن الانقسام والتكثر « الموم الفرع » يعني الذي يورثه وتكثر مظاهره واختلاف اشكاله انه متعدد، وانما هو وجود واحد، والاشكال على اختلاف ضروبها أمور عدمية، لانها ممكنة وامكانها يقنى في وجوبها، فلم يبق الا وجوب واجب الوجود، وهو واحد وان اختلفت الاشكال التي ظهر فيها، والاسماء التي اشارت اليه، فالاتحادي يشاهد وجودا واحدا جامعا لجميع الصور والانواع والاجناس فاض عليها كلها فظهر فيها بحسب قوابلها واستعداداتها، وذلك الشهود يجذبه الى انحلال عزمه عن التقيد بمعبود معين أو عبادة معينة، بل يبقى معبوده الوجود المطلق الساري في الموجودات بأي معنى ظهر وفي أي ماهية تحقق، فلا فرق عنده بين السجود للصنم والشمس والقمر والنجوم وغيرها كما قال شاعر القوم (١)

وان خر للاحجار في البيد عا كف فلا تعد بالانكار بالعصبية
وان عبد النار المجوس وما انطفت كما جاء في الاخبار مذ الف حجة
فما عبدوا غيري وما كان قصدهم سواي وان لم يظفروا عقد نية
وما عقد الزنار حكما سوى يدي وان حل بالاقرار لي فهي بيعتي
وكما قال عارفهم (٢): واعلم ان الحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه ويجهله من جهله، فالعارف يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر — قال — (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه) — قال — رما قضى الله شيئا الا وقع (٣) وما عبد غير الله في كل معبود . فهذا مشهد الملحد

(١) كتب في هامش ب « هو ابن الفارض » ٢ وفي هامشها أيضا « لعنه ابن عربي صاحب القصص ، المشتمل على مخالفة النصوص »
(٢) حمل القضاء على التكوين وانما هو بمعنى التشريعي ، فحجته داحضة

٣٧٤ المشاهدة وعين الجمع عند الهروي [النار: ج ٥ م ١٨]

والموحد يشاهد بإيمانه ويقينه ذاتاً جامعة للاسماء الحسنی والصفات العلی ، لها صفة كل كمال^(١) وكل اسم حسن ، وذلك يجذبه الى نفس اجتماع همه على الله وعلى القيام بفرائضه ، والطريق بمجموعها لا تخرج عن هذين السببين ، وان طولوا العبارات ودققوا الاشارات ، فالامر كله دائر على جمع الهمة^(٢) على الله ، واستفراغ الوسع بغاية النصيحة في التقرب اليه بالنوافل ، بعد تكميل الفرائض ، فلا تطول ولا يطول عليك

وشیخ الاسلام مراده بالجمع الجاذب الى عين الجمع امر آخر بين هذا وبين جمع أهل الوحدة وعين جمعهم ، لا هو هذا ولا هذا ، فهو دائر على الفناء لا تأخذه فيه لومة لائم ، وهو الجمع الذي يدندن حوله ، وعين الجمع عنده هو تفرد الرب سبحانه بالازلية وبالدوام^(٣) وبالحلق والفعل ، فكان ولا شيء ، ويكون بعد كل شيء ، وهو المكون لكل شيء ، فلا وجود في الحقيقة لغيره ، ولا فعل لغيره ، بل وجود غيره كالخيال والظلال ، وفعل غيره في الحقيقة كحركات الاشجار والنبات ، وهذا تحقيق الفناء في شهود الربوبية والازلية والابدية ، وطى بساط شهود الاكوان ، فاذا ظهر هذا الحكم اتمحق وجود العبد في وجود الحق ، وتديره في تدير الحق ، فصار سبحانه هو المشهود بوجود من العبد متلاش مضمحل كالخيال والظلال ، ولا يستعد لهذا عندهم الا من اجتمعت ارادته على المراد وحده حالاً لا تكلفاً ، وطبعاً لا تطبعاً ، فقد تنبعت الهمة الى أمر وتعلق به ، وصاحبها معرض عن غير مطلبه متحل به ، ولكن ارادة السوى كامة فيه قد توارى حكمها واستتر ، ولما يزل ، فان القلب اذا اشتغل بشيء اشتغالا تاماً توارى عنه ارادته لغيره والتفاتة الى ما سواه ، مع كونه كامناً في نفسه ، مادته حاضرة عنده ، فاذا وجد فجوة وأدنى ثقل من شاغله ظهر حكم تلك الارادات التي كان سلطان شهوده يحول بينه وبينها

فاذاً الجمع وعين الجمع ثلاث مراتب (اعلاها) جمع الهمة على الله ارادة ومجبة وانابة ، وجمع القلب والروح والنفس والجوارح على استفراغ الوسع في التقرب اليه بما يحبه ويرضاه ، دون رسوم الناس وعوائدهم ، فهذا جمع خواص المقرين

(١) في ب « كل صفة كمال (٢) وفيها « الهمة » (٣) وفيها « والدوام »

وساداتهم (والثاني) الاستغراق في الفناء في شهود الربوبية ، وتقدير الرب سبحانه بالأزلية والنبوة ، وإن الوجود الحقيقي له وحده وهذا الجمع دون الجمع الأول بمراتب كثيرة (الثالث) جمع الملاحظة الاتحادية وعين جمعهم ، وهو جمع الشهود في وحدة الوجود ، فليكن بتميز المراتب ، لتسلم من المعاطب ، وسيأتي ذكر مراتب الجمع والتميز بين صحيحها وفاسدها في آخر باب التوحيد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى والله المستعان

قوله « مالكة لصحة الوجود » أي ضامنة لصحة ورودها ، شهادة بذلك مشهوداتها به ، لأنها فوق مشاهدة المعرفة وفوق مشاهدة المعاينة

قوله « رابطة بحر الوجود » يعني تلك المشاهدة رابطة بحر الوجود فهي في لجة بحره لا في أنواره ولا في بوارقه ، وقد تقدم الكلام على مراده بالوجود ، وأنه وجود علم ووجود عين ووجود مقام ، وسيأتي تمام الكلام عليه في باب إن شاء الله تعالى

منزلة المعاينة أو مقامها

﴿ من مدارج السالكين أيضا ﴾

قال شيخ الإسلام^(١) ﴿ (باب المعاينة) قال الله تعالى (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) ﴾ قلت المعاينة مفاعلة من العيان ، وأصلها من الرؤية بالعين يقال : عاينه إذا وقعت عينه عليه ، كما يقال : شافه . إذا كله شفاها ، وواجهه ، إذا قابله بوجهه ، وهذا مستحيل في هذه الدار أن يظفر به بشر ، وأما قوله « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل » فالروية واقعة على نفس مد الظل^(٢) لا على الذي مدده سبحانه ، كما قال تعالى (ألم ترؤا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) وقوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) فهنا أوقع الرؤية على نفس الفعل ، وفي قوله « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل » أوقعها في اللفظ عليه سبحانه والمراد فعله من مد الظل ، هذا كلام عربي بين معناه غير محتمل ولا مجمل ، كما قيل في العزى : [كفرانك اليوم ولا سبحانه] أي رأيت الله قد أمانك [وهو كثير في (١) أي أبو إسماعيل المروني صاحب المنازل (٢) في ب « نفس هذا الظل

كلامهم ، يقولون : رأيت الله قد فعل كذا وكذا ، والمراد رأيت فعله ، فالعيان والرؤية واقع على المفعول لاعلى ذات الفاعل وصفته ، ولا فعله القائم به

فصل

قال صاحب المنازل ﴿ المعاينة ^(١) ثلاث (أحداها) معاينة الابصار (الثانية)

معاينة عين القلب وهي معرفة عين الشيء ^(٢) على نعمته علما يقطع الرؤية ، ولا تشوبه

خبرة ^(٣) (الثالثة) معاينة عين الروح وهي التي تعين الحق عياناً محضاً ، والارواح

انما طهرت وأكرمت بالبقاء لتعابن ^(٤) سناء الحضرة وتشاهد بهاء العزة ، وتجذب

القلوب الى فساء الحضرة ﴿ جعل الشيخ المعاينة للعين والقلب والروح ، وجعل

لكل معاينة منها حكماً ، فمعاينة العين هي رؤية الشيء عياناً أمّا بانطباع صورة

المرئي في القوة الباصرة عند أصحاب الانطباع ، واما باتصال الشعاع المنبسط من

العين المتصل بالمرئي عند اصحاب الشعاع ، واما بالنسبة والاضافة الخاصة بين

العين وبين المرئي عند كثير من المتكلمين ، والاقوال الثلاثة لا تخلو عن خطأ

وصواب ، والحق شيء غيرها ، وان الله سبحانه جعل في العين قوة باصرة كما جعل

في الاذن قوة سامعة وفي الانف قوة شامة وفي اللسان قوة ناطقة ، فهذه قوى

اودعها الله في سبحانه هذه الاعضاء وجعل بينها وبينها رابطة ، وجعل لها اسباباً من

خارج ، وموانع تمنع حكمها ، وكل ما ذكره من انطباع ومقابلة وشعاع ونسبة وضافة

فهو سبب وشرط والمقتضي هو القوة القائمة بالحل ، وليس الغرض ذكر هذه المسئلة

فالقصود امر آخر

وأما معاينة القلب فهي انكشاف صورة المعلوم له بحيث تكون نسبتته الى القلب

كنسبة المرئي الى العين ، وقد جعل الله سبحانه القلب يبصر ويعى كما تبصر العين

وكما تعى ، قال تعالى (فانها لا تعى الابصار ولكن تعى القلوب التي في الصدور)

فالقلب يرى ويسمع ويعى ويصم ، وعماء وصممه أبغ من عمى البصر وصممه

(١) في المتن وب « المعاينات » (٢) في المتن « معرفة الشيء » (٣) زاد فيه هذا

« وهذه معاينة بشواهد العلم » (٤) في ب « لتناغي »

وأما ما يثبت متأخرو القوم من هذا القسم الثالث [وهو رؤية الروح وسميها وارادتها وأحكامها التي هي أخص من أحكام القلب] فهو لاء اعتقادهم أن الروح غير النفس والقلب^(١) ولا ريب أن هاهنا أموراً معلومة وهي البدن وروحه القائم به والقلب المشاهد فيه وفي سائر الحيوان ، والغريزة وهي القوة العاقلة التي محلها القلب ، ونسبتها الى القلب كنسبة القوة الباصرة الى العين ، والقوة السامعة الى الاذن ، ولهذا نسمى تلك القوة قلباً كما تسمى القوة الباصرة بصراً . قال تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ولم يرد شكل القلب فانه لكل أحد ، وانما أريد القوة والغريزة المودعة فيه ، والروح هي الحاملة للبدن وهذه القوى كلها ، فلا قوام للبدن ولا لقواه الا بها ، ولها باعتبار اضافتها الى كل محل حكم واسم يخصها هناك ، واذا أضيفت الى محل البصر سميت بصراً وكان لها حكم يخصها هناك ، واذا أضيفت الى محل السمع سميت سمعاً وكان لها حكم يخصها هناك ، واذا أضيفت الى محل العقل — وهو القلب — سميت قلباً ولها حكم يخصها ، وهي في ذلك كله روح . فالقوة الباصرة والعاقلة والسامعة والناطقة روح باصرة و سامعة وعاقلة وناطقة ، فهي في الحقيقة^(٢) هذا العاقل الفهم المدرك المحب العارف المحرك للبدن الذي هو محل الخطاب والامر والنهي — هو شيء واحد له^(٣) صفات متعددة بحسب متعلقاته ، فانه يسمى نفساً مطمئنة ونفساً لوامة ونفساً أمارة وليس هو ثلاثة أنفس بالذات والحقيقة ، ولكن هي نفس واحدة لها صفات متعددة ، وهم يشيرون بالنفس الى الاخلاق والصفات المذمومة فيقولون : فلان له نفس وفلان ليس له نفس . ومعلوم أنه لو فارق نفسه لمات ، ولكن يريدون تجرده عن صفات النفس المذمومة . والمحققون منهم يقولون : ان النفس اذا تلطفت وفارقت الرذائل صارت روحاً . ومعلوم انها لم تعدم ويخلق له مكانها روح لم تكن ، ولكن عدمت منها الصفات المذمومة وصار مكانها الصفات الحمودة فسميت روحاً

(١) سقط من ب كلمة والقلب (٢) في ب « فقي الحقيقة » ولعله الصواب

(٣) وفيها « وله »

٣٧٨ حقيقة معاينة البصيرة وما يوهمه كلام الصوفية [المنار: ج ٥ م ١٨]

وهذا اصطلاح مجرد والا فالله سبحانه سماها نفساً في القرآن في جميع أحوالها - أمانة ولوامة ومطمئنة. وقال تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها) ويدخل في هذا جميع أنفس العباد حتى الانبياء ، وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم روحاً على الاطلاق مؤمنة كانت أو كافرة ، برة أو فاجرة ، كقوله « ان الروح اذا قبض تبعه - البصر » وقوله « ان الله قبض أرواحنا حيث شاء وردها حيث شاء » وقوله في حديث قبض الروح وصفته : ان كان ^(١) مؤمناً كان كذا وكذا وان كان كافراً كان كذا وكذا . فسمى المقبوض روحاً كما سماه الله في كتابه نفساً ، وهذا المقبوض والمتوفى شيء واحد لا ثلاثة ولا اثنان ، واذا قبض تبعته القوى كلها - العقل ومادونه ، لانه كان حامل الجميع ومركبه

اذا عرف هذا فالمعاينة نوعان: معاينة بصر، ومعاينة بصيرة، فمعاينة البصر وقوعه على نفس المرئي، أو مثاله الخارجي كروية مثال الصورة في المرآة والماء ؛ ومعاينة البصيرة وقوع القوة العاقلة على المثال العلمي المطابق للخارجي ، فيكون ادراكه له بمنزلة ادراك العين للصورة الخارجية ، وقد يقوى سلطان هذا الادراك الباطن بحيث يصير الحكم له ، ويقوى استحضار القوة العاقلة لمدرَكها بحيث يستغرق فيه، فيغلب حكم القلب على حكم الحس والمشاهدة فيستولي على السمع والبصر بحيث يراه ويسمع خطابه في الخارج وهو في النفس والذهن ، لكن لغلبة الشهود وقوة الاستحضار وتمكن حكم القلب واستيلائه على القوى صار كأنه مرئي بالعين مسموع بالاذن ، بحيث لا يشك المدرك في ذلك ولا يرتاب البتة ولا يقبل عدلاً

وحقيقة الامر أن ذلك كله شواهد وأمثلة علمية تابعة للمعتقد ، فذلك الذي أدرك بعين القلب والروح انما هو شاهد دال على الحقيقة ، وليس نفس الحقيقة ، فان شاهد نور جلال الذات في قلب العبد ليس هو نفس نور الذات الذي لا تقوم له السموات والارض ، فانه لو ظهر لها لتدكدكت وأصابها ما أصاب الجبل ، وكذلك شاهد نور العظمة في القلب انما هو نور التعظيم والاجلال ، لا نور نفس المعظم ذي الجلال والاكرام ، وليس مع القوم الا الشواهد والأمثلة العلمية

(١) في ب فان كان

[المنار: ج ٥ م ١٨] أصول فقه الظاهرية . مآخذ الدين ودلائله ٣٧٩

والدقائق ^(١) التي هي ثمرة قرب القلب من الرب وانسه به واستغراقه في محبته ،
وذكره واستيلاء سلطان معرفته عليه ، والرب تبارك وتعالى وراء ذلك كله ،
منزه مقدس عن اطلاع البشر على ذاته أو أنوار ذاته ، أو صفاته أو أنوار صفاته ،
وإنما هي الشواهد التي تقوم بقلب العبد كما يقوم بقلبه شاهد من الآخرة والجنة والنار
وما أعد الله لأهلها ، وهذا الذي وجدته عبد الله بن حرام يوم أحد لما قال :
« واهل الجنة ! اني أجد ريحها دون أحد . ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم
« اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا — قالوا وما رياض الجنة ؟ قال : — حلق
الذكر » ومن قوله « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » فهو روضة
لاهل العلم والايان لما يقوم بقلوبهم من شواهد الجنة حتى كأنها لهم رأي عين ، وإذا
قعد المناق هناك لم يكن ذلك المكان في حقه روضة من رياض الجنة ، ومن هذا
قوله « الجنة تحت ظلال السيوف » فالعمل إنما هو على الشواهد ، وعلى حسب شاهد
العبد يكون عمله . اه المراد منه

أصول الفقه عند الظاهرية

وهي المسائل التي جعلها الامام ابو محمد علي بن حزم مقدمة لكتابه (المحلى)
وعناوين المسائل من زيادة المنار

مآخذ الاسلام ودلائله

﴿ مسألة ﴾ دين الاسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ الا من
القرآن ، أو مما يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إما برواية جميع
علماء الامة عنه عليه السلام — وهو الاجماع — وإما بنقل جماعة عنه عليه
السلام — وهو نقل الكافة — وإما برواية الثقات واحدا عن واحد حتى

(١) في ب « الرقائق »

٣٨٠ الحديث المرسل والموقوف والضعيف [المثار: ج ٥ م ١٨]

يبلغ اليه عليه السلام، ولا مزيد

قال تعالى (وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحيٌ يُوحى) وقال تعالى (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) وقال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) فان تعارض — فيما يرى المرء — آيتان، أو حديثان صحيحان، أو حديث صحيح وآية، فالواجب استعملهما جميعا، لأن طاعتهما سواء في الوجوب، فلا يحل ترك أحدهما للآخر مادامنا نقدر على ذلك. وليس هذا إلا بأن يستثنى الأقل معاني من الاكثر، فإن لم يقدر على ذلك وجب الاخذ بالزائد حكما لانه متيقن وجوبه، ولا يحل ترك اليقين بالظنون، ولا إشكال في الدين، قد بين الله دينه. قال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) وقال تعالى (تَبَيَّنَا لَكُمْ شَيْءٌ)

الحديث المرسل والموقوف والضعيف

﴿ مسألة ﴾ والمرسل والموقوف لا تقوم بهما حجة، وكذلك ما لم يروه إلا من لم يوثق بدينه وبحفظه. ولا يحل ترك ما جاء في القرآن أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول صاحب أو غيره، سواء كان هو راوي ذلك الحديث أو لم يكن.

والمرسل هو ما كان بين أحد رواياته وبين غيره أو بين الراوي وبين النبي صلى الله عليه وسلم من لا يعرف. والموقوف هو ما لم يبلغ به الى النبي صلى الله عليه وسلم.

برهان بطلان الموقوف قول الله عز وجل (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فلا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا يحل لاحد ان يضيف ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

[المنار: ج ٥ م ١٨] دليل عدم الاحتجاج بالمرسل والضعيف ٣٨١

لأنه ظن، وقد قال تعالى (إن الظن لا يثبت من الحق شيئاً) وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم)

وأما المرسل^(١) ومن في روايته من لا يوثق بدينه وحفظه — فلقول الله تعالى (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) فأوجب الله تعالى قبول نذارة النافر للتفقه في الدين، وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وليس في العالم إلا عدل أو فاسق، فحرم الله تعالى علينا خبر الفاسق فلم يبق إلا العدل، فصيح أنه هو المأمور بقبول نذارته

وأما الجهول فلسنا على ثقة من أنه على الصفة التي أمر الله تعالى معها بقبول نذارته وهو التفقه في الدين . فلا يحل لنا قبول نذارته حتى يصح عندنا فقهره في الدين، وحفظه لما ضبط من ذلك، وبرأيه من الفسق، وبالله تعالى التوفيق

ولم يختلف أحد من الأمة في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسولاً رسولاً واحداً إلى كل مملكة يدعوهم الإسلام، وواحداً واحداً إلى كل مدينة وإلى كل قبيلة — كصنعاء والجند^(٢)

(١) أي وأما بطلان الاستدلال بالحديث المرسل الخ أي والحديث الضعيف (٢) الجند بالتحريك مدينة باليمن كانت عاصمة أعظم ولاياتها الثلاث في صدر الإسلام . قال في معجم البلدان عند الكلام عليهما : وأعمال اليمن في الإسلام مقصورة على ثلاثة ولايات — فوال على الجند ومخاليفها، وهو أعظمها، ووال على صنعاء ومخاليفها وهو أوسطها، ووال على حضرموت ومخاليفها وهو أدناها . والجند مسماة بجند بن شهران — بطن من المعافر . قال عمارة : وبالجند مسجد بناه معاذ ابن جبل الخ

وحضر موت وتبوء ونجران والبحرين وعمان وغيرها ، يعلمها أحكام الدين كلها ، وافترض على أهل كل جهة قبول رواية أميرهم ومعلمهم ، فصح قبول خبر الواحد الثقة عن مثله مبالغا الى رسول الله (ص) .
ومن ترك القرآن أو ماصح عن رسول الله (ص) لقول صاحب أو غيره سواء كان راوي ذلك الخبر أو غيره فقد ترك ما أمره الله تعالى باتباعه ، لقول لم يأمره الله تعالى قط بطاعته ولا باتباعه . وهذا خلاف لأمر الله تعالى

وليس فضل الصاحب عند الله بموجب تقليد قوله وتأويله ، لانه تعالى لم يأمر بذلك ، لكنه موجب تعظيمه ومحبته وقبول روايته فقط لان هذا هو الذي أوجب الله تعالى

النسخ

﴿مسألة﴾ والقرآن ينسخ القرآن والسنة ، والسنة تنسخ السنة والقرآن . قال الله عز وجل (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) وقال تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) وقال تعالى (وما ينطق عن الهوى انه هو الا وحى يوحى) وأمره تعالى ان يقول (إن أتبع الا ما يوحى اليّ) وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من احد عنه حاجزين) فصح أن كل ما قاله رسول الله (ص) فمن الله تعالى قاله ، والنسخ بعض من أبعاض البيان . وكل ذلك من عند الله تعالى

منع دعوى النسخ والتخصيص والتأويل

﴿مسألة﴾ ولا يحل لاحد ان يقول في آية أو في خبر عن رسول

الله (ص) ثابت : هذا منسوخ أو هذا مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ، ولا ان لهذا النص تأويلاً غير مقتضي ظاهر لفظه ، ولا ان هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده الا بنص آخر وارد بان هذا النص كما ذكر ، أو باجماع متيقن بانه كما ذكر ، أو بضرورة حسنٍ موجبة انه كما ذكر ، والا فهو كاذب . برهان ذلك قول الله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع) وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال تعالى (بلسان عربي مبين) وقال تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) فقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع) موجب طاعة رسول الله (ص) في كل ما امر به ، وقوله (اطيعوا الله) موجب طاعة القرآن . ومن ادعى في آية أو خبر نسخاً فقد أسقط وجوب طاعتها ، فهو مخالف لامر الله تعالى في ذلك ، وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) موجب أخذ كل نص في القرآن والاخبار على ظاهره ومقتضاه في اللغة العربية . فمن ادعى في شيء من ذلك ان المراد به غير ما يقتضيه لفظه في اللغة العربية فقد خالف قول الله تعالى وحكمه ، وقال عليه عز وجل الباطل وخالف قوله عز وجل . ومن ادعى ان المراد بالنص بعض ما يقتضيه في اللغة العربية لا كل ما يقتضيه فقد أسقط بيان النص ، واسقط وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة ، وهذا قول على الله تعالى بالباطل . وليس بعض ما يقتضيه النص بأولى بالاعتصار عليه من سائر ما يقتضيه . وقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره) موجب

[المنار : ح ٥ م ١٨]

إنما الاجماع إجماع الصحابة

٣٨٤

الوعيد على من قال لا يجب علي موافقة أمره ، وموجب أن جميع النصوص على الوجوب . ومن ادعى تأخير الوجوب مدة ما فقد أسقط وجوب الطاعة لله تعالى ، ووجوب ما أوجب الله عز وجل من طاعة رسوله (ص) في تلك المدة . وهذا خلاف لأمر الله عز وجل ، فإذا شهد لدعوى من ادعى بعض ما ذكرنا قرآن وسنة ثابتة إما باجماع وأما بنقل صحيح فقد صح قوله ووجوب طاعة الله تعالى في ذلك . وكذلك من شهدت له ضرورة الحسن لأنها فعل الله تعالى في النفوس ، والألفي أقوال مؤدية إلى إبطال الاسلام ، وإبطال جميع العلوم ، وإبطال جميع اللغات كلها . وكفى بهذا فسادا ، وبالله تعالى التوفيق

إنما الاجماع إجماع الصحابة

﴿ مسألة ﴾ والاجماع هو ما يتقن ان جميع أصحاب رسول الله (ص) عرفوه وقالوا به ولم يختلف منهم أحد ، كتيقنا أنهم كلهم رضي الله عنهم صلوا معه عليه السلام الصلوات الخمس كما هي في عدد ركوعها وسجودها ، أو علموا انه صلاها مع الناس كذلك ، وانهم كلهم صاموا معه أو علموا انه صام مع الناس رمضان في الحضر ، وكذلك سائر الشرائع التي تيقنت مثل هذا اليقين ، والتي من لم يقر بها لم يكن من المؤمنين . وهذا ما لا يختلف أحد في أنه إجماع ، وهم كانوا حينئذ جميع المؤمنين لا مؤمن في الارض غيرهم ، ومن ادعى ان غير هذا هو اجماع كلف البرهان على ما يدعي ولا سبيل له اليه .

﴿ مسألة ﴾ وما صح فيه خلاف من واحد منهم رضي الله عنهم ولم يتقن ان كل واحد منهم رضي الله عنهم عرفه ودان به فليس اجماعا ، لان

[النار: ج ١٨ م ٥] الإجماع بعد الصحابة متعذر ٣٨٥

من ادعى الإجماع هاهنا فقد كذب ، وقفنا ما لا علم له به ، والله تعالى يقول (ولا تقف ما ليس لك به علم)
الإجماع بعد الصحابة متعذر

﴿ مسألة ﴾ ولو جاز أن يتيقن إجماع أهل عصر بعدهم أولهم عن آخرهم على حكم نص لا يقطع فيه بإجماع الصحابة رضي الله عنهم لوجب القطع بأنه حق وحجة . وليس كان يكون إجماعاً . أما القطع بأنه حق وحجة فلما ذكرناه قبل بإسناده من قول رسول الله (ص) « لن تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » فصح من هذا أنه لا يجوز البتة أن يجمع أهل عصر ولو طرفه عين على خطأ ، ولا بد من قائل بالحق فيهم . وأما أنه ليس إجماعاً فلأن أهل كل عصر بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم ليس جميع المؤمنين وإنما هم بعض المؤمنين . والإجماع إنما هو إجماع جميع المؤمنين لا إجماع بعضهم .

ولو جاز أن يسمى إجماعاً ما خرج عن الجملة واحد لا يعرف أيوافق سائرهم أو يخالفهم — لجاز أن يسمى إجماعاً ما خرج عنهم فيه اثنان وثلاثة وأربعة وهكذا أبداً حتى يرجع الأمر أن يسمى إجماعاً ما قاله واحد ، وهذا باطل . ولكن لا سبيل إلى تيقن إجماع جميع أهل عصر بعد الصحابة رضي الله عنهم ، لكثرة أعداد الناس بعدهم ، ولأنهم طبقوا ما بين المغرب والمشرق ، ولم تكن الصحابة رضي الله عنهم كذلك ، بل كانوا عدداً يمكننا حصره وضبطه وضبط أقوالهم في المسألة . وبالله تعالى التوفيق .

وقد قال بعض الناس يعلم ذلك من حيث يعلم رضا أصحاب مالك وأصحاب أبي حنيفة وأصحاب الشافعي بأقوال هؤلاء . (قال علي) وهذا (النار: ج ٥) (٤٩) (المجلد الثامن عشر)

٣٨٦ رد المتنازع فيه الى الكتاب والسنة [المنار: ج ٥ م ١٨]

خطأ، لأنه لا سبيل الى ان تكون مسألة قال بها أحد من هؤلاء الفقهاء الا وفي أصحابه من يمكن أن يخالفه فيها وان وافقه في سائر أقواله
رد المتنازع فيه الى الكتاب والسنة

﴿مسألة﴾ والواجب اذا اختلف الناس أو نازع واحد في مسألة ما أن يرجع الى القرآن وسنة رسول الله (ص) لا الى شيء غيرهما، ولا يجوز الرجوع الى عمل أهل المدينة ولا غيرهم، برهان ذلك قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فصيح أنه لا يحل الرد عند التنازع الى شيء غير كلام الله تعالى وسنة رسوله (ص) وفي هذا تحريم الرجوع الى قول أحد دون رسول الله (ص) لان من رجع الى قول انسان دونه عليه السلام فقد خالف أمر الله تعالى بالرد اليه والى رسوله، لا سيما مع تعليقه تعالى ذلك بقوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولم يأمر الله تعالى قط بالرجوع الى قول بعض المؤمنين دون جميعهم، وقد كان الخلفاء رضي الله عنهم كأبي بكر وعمر وعثمان بالمدينة وعملهم باليمن ومكة وسائر البلاد وعمل عمر وعثمان بالبصرة والكوفة ومصر والشام، ومن الباطل المتيقن الممتنع الذي لا يمكن — ان يكونوا رضي الله عنهم طوعا وعلم الواجب والحلال والحرام عن سائر الأمصار واقتصروا به على أهل المدينة. فهذه وصفة سوء تداعاظم الله تعالى منها، وقد عمل ملوك بني أمية باسقاط بعض التكبير من الصلاة بتقديم الخطبة على الصلاة في العيدين حتى فشا ذلك في الارض فصيح أنه لا حجة في عمل أحد دون رسول الله (ص) (المنار) بقية المسائل في إبطال القياس وتقدم في التفسير

[المنار: ج ١٨ م ٥] مقارنة بين اللغة المصرية القديمة والعربية ٣٨٧

مقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية

٢

الاثار المصرية

الذي ذكر فيه اسم بني اسرائيل

المحفوظ الآن بمتحف القاهرة — عدد ٣٤٠٢٥

(و بعض ما فيه من الاتفاق بين لغة قدماء المصريين واللغة العربية) (*)

أني تلقيت عن والدي في مدارس الحكومة الدروس الهيروغليفية التي ألقاها في نيف وثلاث سنين ، وثابت بعد ذلك على الاهتمام بها ولا سيما في أيام العطلة الدراسية . ثم صرفت أيام هذه الاجازة الاخيرة في ترجمة وجه واحد من الحجر الكبير المنقوش عليه اسم بني اسرائيل وطبقت قدر استطاعتي بين الكثير من ألفاظه على ما يقابلها في اللغة العربية ليعلم وجه الشبه بين اللغتين، وجعلت كل كلمة مصرية موافقة للعربية بين علامتين هكذا [] فجاء بحمد الله با كورة عمل أزفها لأبناء وطني راجيا منهم ان يصفحوا عما يرونه فيه من زلة القلم ، وفقنا الله واياهم لنشر العلوم والمعارف آمين

وصف الاثر بالاجمال :

صنع هذا الأثر الملك (امنوفيس الرابع) من الاسرة الثامنة عشرة ونقش على وجه منه وصف بعض أعمال دينية قام بأدائها — ثم جاء من بعده (مفتاح) الذي هو فرعون سيدنا موسى عليه السلام على القول الأرجح ، وكتب على الوجه الآخر

(*) بقلم حسن افندي كمال الطالب بمدرسة الملك في لندرة نجل الأثري أحمد كمال بك أمين دار الآثار المصرية وقد جعلناه مكان النبذة الثانية مما وعد به والده ، وأوضحنا تفسير بعض الكلمات

٣٨٨ الاثر المصري الذي ذكر فيه اسم بني اسرائيل (المنار: ج ٥ م ١٨)

كيفية حربه مع اللويين ، واستطرد الى بيان أحوال مصر وقتئذ ، مع الالماع الى ذكر ولايات أخرى أخضعها لحكمه . وهذا النقش الأخير هو الذي عنيت بترجمته . فظهر لي ان الكاتب المصري تحرى فيه أساليب الانشاء التي كانت شائعة في عهد الاسرة التاسعة عشرة ، وكان السبب في نقشه وتسطيره انتصار عظيم أحرزه فرعون (منفتاح) على اللويين ، فأمر بتدوين هذا النصر لتخليد ذكره بين الخلف ، وكان ذلك في السنة الخامسة من حكمه . لكن عبارات نصه لم تزدنا شيئاً جديداً عما كتبه عن نتيجة هذه الحرب في نقوش الكرنك ، غير انه تكلم بصراحة هنا عما حصل في أيامه من الفرح والسرور والحرية للبلاد المصرية . ولولا النص المنقوش في معبد الكرنك المشروح فيه حوادث هذه الحرب بالتفصيل لما تيسر لنا الوقوف من هذا الأثر على مكانة الفوز المبين الذي ناله منفتاح ، ولا على الحالة الحرجة التي وقعت فيها البلاد المصرية عند نشوب هذه الحرب الطاحنة

ومن تأمل معاني العبارات الواردة في نص هذا الأثر النفيس علم بعض أحوال البلاد المصرية وقت السلم وعلى الاخص العبارة التي ذكر فيها اسم بني اسرائيل المدرجة في آخره لانها استوجبت توجيه النظر من الأثريين لكونها أول عبارة أخبرتنا بهذا الاسم المشهور في الكتب الدينية

وذلك انه ورد في الاثر اشارة اجمالية الى ذكر خضوع بعض الامم الاجنبية ومن جملتهم بنو اسرائيل . لكن العبارة التي ذكر فيها هذا الاسم جاءت في غاية الایجاز ، حتى تعذر علينا استنتاج فائدة كبيرة منها . على انها صيغت في أسلوب متداول الاستعمال في اللغة المصرية القديمة طالما عبر به عن أمم أخرى في نصوص غير هذا

ومعنى هذه العبارة ان بني اسرائيل « لم تبق لهم بركة » أي ذرية في الارض . فاجتهد بعض الأثريين في تأويلها فقالوا انها تفيد نحو نسل بني اسرائيل بدمج أبنائهم واستحياء نسائهم . لكن نرى من جهة أخرى ان هذه العبارة نفسها ذكرت كثيراً في الآثار المصرية عن أمم أخرى أجنبية كما نرى في الامثلة الآتية

(الاول) ماجاء في حرب رمسيس الثالث من حكمه لسكان البحر الابيض

[المنار: ج ٥ م ١٨] عبارة لم تبق لهم بزرّة في آثار الفراعنة ٣٨٩

في السنة الثامنة من حكمه اذ قال ماترجمته: «والذين وصلوا حدود بلدي تبدد شملهم ولم تبق لهم بزرّة»

(الثاني) ماجاء في كتاب (درمخن) ^(١) من أن اللويين والسبديين مرقوا ولم تبق لهم بزرّة

(الثالث) ماجاء أيضا في الكتاب المذكور ^(٢) من قولهم « وصارت بلادهم رماداً قفراً بلقعا فلم تبق لهم بزرّة »

(الرابع) ماجاء في حرب رسيس الثالث وذلك في السنة الخامسة من حكمه من أن — رئيس عمورة المدعو (جورو) لم تبق له بزرّة

فيعلم مما تقدم ان التعبير بلفظ لم تبق له بزرّة هو تعبير عندهم لا يراد به في الاثر الذي نحن بصدده محق ذرية بني اسرائيل من هذه الدنيا بذبح الابناء واستحياء النساء — ومن الواضح الجلي ان موطن بني اسرائيل كان في فلسطين حسب نص الاثر وان منفتاح قهرم فيها وسلب أموالهم كما فعل بغيرهم من الامم المجاورة لهم بالكيفية المينة بعد

ترجمة الاثر ^(٣)

[النهار] الثالث من [أيوب] للسنة الخامسة من حكم [الحر — أي الباشق — القوي المرقى للعسل] الملك منفتاح العظيم [البأس المرقى بقوة] [الإله حوريس [القوي] ضارب [البدو] ذو الاسم السرمدي الذي تحدث [الناس] بمنسجدياته] في جميع البحار، لانه جعلهم يرون الدنيا كلها [منضمة] له ، ولانه استعمل قواته

(١) هذا الكتاب حاو لتقوش مصرية تاريخية فراجع هذه العبارة في السطر ٣٦ من الباب ٣٤ من الجزء الاول

(٢) راجع في الجزء الاول من الكتاب المذكور السطر الثاني من الباب المتمم للعشرين (٣) إنا أتينا في الترجمة بالألفاظ المصرية القديمة (الهيروغليفية) الموافقة للألفاظ العربية، ومن هذه الألفاظ ماهو مستعمل الآن ومنها ماهو غريب غير مستعمل أو قليل الاستعمال فاضطررنا الى تفسيره في اثناء الكلام او في الهوامش فلماذا لا غرابة فما يوجد في الترجمة من ضعف وركاكة ، لأن هذه أول مرة حوفظ فيها على الألفاظ المتفقة في اللغتين بنصها فيهما

٣٩٠ مقارنة بين اللغة المصرية القديمة بالعربية (المنار : ج ١٨٥)

فبافيه النفع فهو [الصيدن القلب - مفتاح - الناب ^(١) القوي] ذو
[البأس] المهلك [لشائمية] ذو الحسن في شدة [القوة] الذي [ينهض]
نهوض الشمس [ليكف] عن مصر ما يحل بها من العواصف ، وليجعلها ناظرة
لقصر الشمس عند [سطوعه] وليدفع جبل النحاس عن اعناق الاهالي ^(٢) فيمنح
الحرية للناس الواقعين في الضيق ، وليعاف سكان منف من فعل أعدائهم وليجعل
« أسوريس » [اشرا] (أي فرحا) في [صُبيّه] ^(٣) الفاتح الذي يفتح
الحصون ويوصل لمعابده أرزاقها ، فهو الملك مفتاح الوحيد الذي يطمئن [الباب]
الجم الفقير فيدخل عند رؤيته نفس الحياة في أنوفهم . فهو [السائد] على أرض
التمجو ^(٤) ملقي [الهول] السرمدي في [الباب] المشواش ، المذل للوبيين
المتوغلين في مصر حتى جعل [روع] القطر المصري العظيم في [لبهم] وجعل
مقدمة جيشهم ومؤخره لم يبرح الأرض في سيرهم على أرجلهم ، بل ظلوا على أقدامهم
واقفين حتى وقعت رماثهم وأقواسهم ، وصارت قلوب المسرعين منهم أدلة من
الشيء ، ففكوا قرب الماء وألقوها على الأرض ، وأخذت جلودها ورميت

أما الوالي [الخسيس] حاكم لوبيا [فخارت] قواه وهرب تحت [جنح] (الليل)
بلاريشة على رأسه ، وكانت رجلاه تسير سيرا ثقيلا ، وأخذت أمامه [حاتمته] - أي
نساؤه - ، ونهبت حبوب محصولاته ، فلا [ماء] في القرب [للمعيشة] فكانت
وجوه [أصنائه تهصص] ^(٥) بعيونهم ، ويقتل الواحد من [هدااته] ^(٦) ثانيه [

١ الصيدن - الملك - والقب - رئيس القوم وسيدهم وقيل الملك وقيل الخليفة
والناب السيد الوجيه ، وهو مجاز أصله المسن من الابل

٢ المقصود من جبل النحاس الامور الشاقة الثقيلة العبء كانها من حيث
النفل جبل من نحاس فهي استعارة مستعملة عندنا في قول البعض ثقل كالجبل

٣ جمع صاب وهم الذين يميلون الى الفتن ويحبون التقدم فيها والبراز

٤ هي القيروان وما يليها

٥ الاصناء كالصنواف جمع صنو بالكسر ، ومعناه في المصرية والعربية
الاخوة . وأصله فسائل النخل التي تخرج من أصل واحد . وتهصص معناه في
الفتن تبرق

٦ هدااته قواده . والمراد بثانيه الذي يليه

(المنار: ج ٥ م ١٨) مقارنة بين اللغة المصرية القديمة بالعربية ٣٩١

في حرب نشبت بينهم، وحرقت [أحياءه] وجميع [أشياءه] من طعام الجنود، ولما وصل بلده تحدث في حقه الكثيرون في جميع [الأرض] فالحقته الخيبة [وخسفته النأناة] ^(١) وسلبه سوء الحظ [الريشة] — أي من رأسه — فتحدث فيه الكل من سكان مدينته قائلين: إنه تحت [بأوزان منف] (أي سيطرة معبوداتها) لقد [ساوروا] مريري ^(٢) لأنه كان [بذيثا] لمنف من ابن إلى ابن (نتج) في أسرته إلى [الازل] — لذلك مثل منفتح بأولاده [وشياه] ^(٣) فصار يضرب به المثل في لوبيا، وأصبحت الذرية يقول بعضها لبعض: لم يفعل لنا مثل ذلك منذ المعبود (رع) ^(٤) وكان كل كبير يقول لابنه: [اندب لوبيا] — فامتنعوا عن [المشي] والسير الطيب (أي التنزه) داخل الحقول فوقف [مشيهم] في يوم واحد، وحرقت التخنو في سنة واحدة، فأعطى المعبود (سوتخ) ظهره لرئيسهم، وتمزقت [أحياءه] حسب [مشيئة] (هذا المعبود) فلم تبق حاجة — لحمل — [القناة] في هذه الأيام وأصبحت السلامة في [الاختفاء] والتعود بالبيقرة ^(٥) — وصار [يلوذ] بسيد مصر الكبير منفتح [الازل] ^(٦) والانتصار، لأنه يحارب وهو عارف [شطنه] ^(٧) والذي يعاديه (يعد)

١ الخسف النقص والنأناة الضعف والعجز في كل من اللغتين. ومن المعاني المناسبة لذلك في العربية قولهم: خسف فلانا أي أذله وحمله ما يكرهه وخسف الدابة حبسها بلا علف. ونا نأ فلان قصر وعجزه. وناناه: كفه ومنعه عن الأمر والنأاء العاجز الجبان والزون الصنم (راجع عدد ٥ في هامش الصفحة التالية)

٢ ساورد كلموه بكلام يصدع رأسه. ومريري اسم رئيس اللوبيين

٣ شياه بالتشديد — قبجه

٤ يراد بهذه العبارة المتداولة عندهم أنه لم يحصل مثل ذلك من ابتداء الدنيا

٥ المراد بالاختفاء العزلة. وبالبيقرة سكنى الدور. ويقال في العربية يقرر

إذا نزل الخضر وأقام تاركا البادية

٦ الازل بالفتح القوة

٧ الشطن بالفتح مصدر شطن (كنصر) يقال: شطن في الأرض أي دخلها

إما راسخا وإما واغلا. وهذا هو المعنى بالمصرية

٣٩٢ مقارنة بين اللغة المصرية القديمة بالعربية (المنار: ج ٥ م ١٨)

خائناً لا [لب] له — ومن تعدى حدود مصر لا يقيم الى الصباح لانها [السليمة
الوحيدة] للمعبود « رع » منذ وجود الآلهة ، ولأن [سليه] — أيضاً — هو
منفتح الجالس على [سدة] المعبود « شو » فلا [حجا يقدي ليهوي] بين [ناس
مصر] ^(١) لان [عين] كل معبود متجهة في [سه من يعنوها] ^(٢) ولانها
[تعني كأنفها] ^(٣) ولانها تعطي الخير لاولي [البأو] العالمين العارفين لغتهم كلها
[الزاون] لاهوائهم — ونالت مصر [باؤا] فخرا كبيرا لان يدها [حبت] — دنت —
من رئيس لوبيا فأسرته حيا . هكذا ظفر الملك المقدس [العادل] أمام
المعبود « رع » [بكاتفه] ^(٤) ميري — فاعل [السوء] الذي [سخط] عليه
[الزون رب منف] ^(٥) فوفاه — حسابه — في مدينة عين شمس ، وبذلك حكم
عليه التسليم المقدس (وهو المؤلف من تسعة آلهة) بسبب [عثوه البذيء] فقال
السيد الكلي (أي رئيس الآلهة) سأعطي [الخشب] ^(٦) لابني منفتح
[القوي اللب الآين] ^(٧) الرؤوف المدافع عن منف [المجاوب] عن مدينة عين

١ الحجا في اللغتين العفل والمراد هنا ذو الحجا على حذف المضاف .
ويقدي يحى مقحما من البادية . وقوله يهوي بين ناس مصر أي يهبط مصر وينزل
بين أهلها . فهذه الجملة كلها عربية ومحصل معناها أنه لا يوجد عقل يغفر
بصاحبه فيحمله على اقتحام البادية لهبوط مصر أي على سبيل الفتح والاستعمار ،
والتعليل الآتي معظم ألفاظه عربية مصرية أيضا

٢ المراد بالسه الخلف والوراء . وهذا المعنى مجازي بالعربية . ويعنوها يضعفها .
٣ أي تأسر مبغضيتها وكارهيها أي أعدائها .
٤ أي كارهه ومبغضه

٥ رب منف تفسير للزون . والزون بالضم يطلق في العربية على الصنم وكل
ما يتخذ للعبادة وعلى الموضع الذي تجمع فيه الاصنام وتنصب وتزين

٦ هو يوزن أمير السيف . ويطلق في العربية على السيف الصقيل والسيف
الذي عرض له الطبع أي الصدا — ضد ، والمراد هنا الأول بقزينة المدح

٧ الآئن اسم فاعل آن على نفسه أونا رفق بها في السير ويستعمل بمعنى الرافه
والوادم وهو الموافق للغة المصرية

(المنار: ج ٥ م ١٨) مقارنة بين اللغة المصرية القديمة بالعربية ٣٩٣

شمس الفتح للمدن [المعني] ^(١) الذي [يفك] أسارى الكثير من المقيدين في كل بلد ، ويعطي [الاطابات] ^(٢) للبرابي (أي المعابد) ويدخل [الكندر] ^(٣) امام [الزون] ويجعل [السراة تقتني اشياءها] ^(٤) ويدخل الفقراء بلادهم «
فقات الآلهة على مشهد من أر باب مدينة عين شمس بخصوص ابنهم مفتاح ليعط الحياة مثل «رع» [وليجواب] عن كل من [ردي] — أي اختلس — لانه [وصي] على مصر لحسابها جزءا تابعاله الى الازل — أي الابد — [ولينجد] أهلها [وليلمأ بالطول] متقاعد فيها في [لوقته] ^(٥) فتكون أنفاس الحياة [بقوة] ذراعها [وتخيظ الاشياء] للمستحق بلا [جور] ولا [قأ] ^(٦) والذين [يون] ^(٧) لبهم [الصغير] ويلقون بزور العسف [يحبون] ^(٨) اليك بالاشياء بلا أطفال لهم « هكذا يقال فيهم — وقد [تأبأ] مريري الملعون [الحسيس الحار] ^(٩) رئيس لوييا [ليهوي] في أسوار ملك مصر وسيدها وهو [اللقب] الذي أطلقه المعبود «رع» على [سليله]

- ١ هو الذي ياخذ عنوة يقال : اعناه بمعنى أخضعه وبمعنى أبقاه اسبرا
- ٢ ورد بمعنى احسن الاشياء فالظاهر أنه محرف عن الأطايب جمع أطيب
- ٣ الكندر بضم الكاف والدال اللبان الذي كان يستعمل بخورا في المعابد في عهد المصريين ولا يزال يستعمله النصارى
- ٤ السراة جمع سري كغني وقيل اسم جمع له وهم أشرف القوم في اللغتين . وتقتني ورد في الأثر بمعنى تجمع ويظهر أن أصله في العربية تقتني من اقيم الشيء ، فان المهم الثانية تغلب ألفا . وورد بمعنى السكنس وأكل جميع ما على المائدة فقيه معنى الجمع
- ٥ يلماً يلمح بنظره ، والطول بالفتح الفضل والعطاء والسعة . واللوق الساعة يقال : ذهب فلان في لوقه ، — أي ساعة
- ٦ تخيظ من : خاط اليه الشيء اذا مر عليه سريعا لا يلوي على غيره . والقما الذل والصغار
- ٧ يون ورد بمعنى يضعف . ويقال في العربية بمعنى ضعف وفتر ، ووني التشديد أيضا
- ٨ أي يدنون من الحبو وهو أحد معانيه
- ٩ تاياه قصد شخصه وتعنده . والحار اسم فاعل من خرأي وقع وسقط

(المنار: ج ٥) (٥٠) (المجلد الثامن عشر)

هذا وهو [الصيدن والقب] ^(١) مفتاح [المترج] على [سدته] ويقول يتاح (أي القتاح) عن لوبيا: ان [خار] لوبيا - أي العاثر بعد استقامته - [ستحصي] جميع بذاته [وتطوف - فوق - نطابه] - أي رأسه - وليجعل في [يد] مفتاح [وليبق مايقم] ^(٢) مثلاً - يفعل - التمساح، لان [الشوشاة تعزو الشوشاء] في شبكته ولو كان [نابا] ^(٣) لان أهون [يلخ بحسه فيطفه] ^(٤) من [يده] ويجعله تحت [قوة] مفتاح في أرمنت

وقع [أشر] ^(٥) كبير في مصر [وبرز النهيم] ^(٦) في [مدن] مصر، وتحدث الناس بنجدات مفتاح التي حازها على التحنو - ما أطيه من [حاكم نجد] ^(٧) ما أعظمه من [صيدن بين الازوان] وما أسعده حظا [الناب الناهي] اجلس أيها الملك متعبا وتكلم [وامش شطنا] على [المتن] ^(٨) فلا [زأد] في [لب النات] ^(٩) فالقلاع تركت ونفسها [والقلائب] ^(١٠) فتحت ، وأخذ [يطوف الوافدون] الاستحكامات ذات الاسوار [متفجحين] من الشمس حتى تصحى حراسها

١ اللقبان يطلقان بمعنى الملك . والقب رئيس القوم وسيدهم
٢ أي يقذف من فيه كل ما ياكله . يقال بق ما في فيه اذا قذفه بعنف . وهو مستعمل الآن في بلاد الشام . وقم ما على المائدة أكله كله
٣ أي العجلة تدفع المستعجل في شرك أعماله ولو كان نابا - أي سيدا وجيها ، والشوشاء أو الشوشاة في العربية الناقة السريعة ، والناب المسن من الابل ويطلق مجازا على السيد

٤ يلخ : يعرف . وبالعربية ملح الخمر تخبره تخبرا واستقصاه ، وبحسه : جرأته ، ويطفه : يربطه . تقول العرب : طف الناقة اذا شد قوائمها .

٥ أي فرح وهو في العربية البطر من الفرح
٦ النهيم الصوت وهو بالعربية صوت الاسد ونحوه
٧ النجد كضخم وككتف ذو النجدة ورجل نجد : شجاع ماض فيما يعجز عنه غيره سريع الاجابة الى ما يدعى اليه وهي النجدة

٨ تقدم تفسير الشطن وهو هنا التوغل . والمتن الطريق
٩ الزأد الفرع ، واللب القلب ، والنت الناس على الابدال في اللغتين
١٠ الآبار . والقلب في العربية البئر مطلقا أو القديمة ، جمعها قلب بضم القاف وسكون اللام وضمها . وأقلبة . وقلائب جمع الجمع وهو غير مستعمل بالعربية

(المنار: ج ٥ م ١٨) مقارنة بين اللغة المصرية القديمة بالعربية ٣٩٥

[والماصعون يتكروّن وينامون] ^(١) وقوم «نوو» و «تكتينوا» يكونون في
الحقل [كأبايهم] ^(٢) وحيوانات الحقل تترك بلا راع [فندى] ^(٣) مياه الغدير
ولا [صاحب] يصيح في [جنح] - أي من الليل - [هيا إمق الآتي بلغة] [الاجني] ^(٤)
[أت] [واذهب] [محظوظا] فلا [نياحة] من [نات مهمومة] [قد] [عنت] [المدن]
ثانيا [وسيقم] [الفلاح محصوله]، والتفت «رع» الى مصر فولد مفتاح ملك مصر
وشيء له بأن يكون [مناضلا] عنها . وان تكون [الولة منبطحة] - له -
وتقول [سلاما] وان [لا يرفع أحد من البدونطابه] ^(٥) [فانفكت التحنو
وتحفظات] [خيتا] ^(٦) [واقتحيت كنعان لو بنتها] ^(٧) وعنيت عسقلان [وقبض
على جزال]، وصارت ينعمام عدما في الوجود [وانفك الاسرائليون فلا يزر لهم]،
وأصبحت فلسطين خلية [لمصر] ^(٨) [والاراضي] [كلها] [مضمومة] [في] [حفظ]
وكل] [أشتم وعفه] ^(٩) [الصيدين القب مفتاح سليل] [الشمس معطي المعيشة كل
نهار مثل الفورة (أي الشمس) اه

١ - الماصعون المقاتلون بالسيوف تقول العرب مصع فلانا اذا ضربه بالسيف
أو بالسوط و يتكرون يتكفون السكري وهو النوم ، يفسره قوله : و ينامون

٢ أبايهم رغبتهم وقصدهم

٣ - أي تمر مرا بطيئا أو سريعا

٤ - معناه : هيا فانظر كل اجني أنى متكلمها بلغته (كذا فسر المترجم)

٥ رأسه . وفي معجم العربية : النطاب ككتاب الرأس وحبل العنق أو العاتق

٦ التحنو هم سكان القبروان وما بعدها والخيتا هم الحيثيون المذكورون

في التوراة

٧ قحا المال واقتحاه أخذه كله . الوبنة الأذى . يقول نهبت أموال كنعان

لأذاها وضرها . وأسرت عسقلان

٨ الخلية التي لا زوج لها

٩ وعفه أضغفه . هكذا ورد بالمصرية ، والوعف بالمهملة والمعجمة في العربية

ضعف البصر . يقال وعفه واوعفه وأوغفه . وبقية الالفاظ فسرت قبل

باب المناظرة وأمر أسئلة

جواب على استفتاء المنار (جزء ٢ مجلد ١٨) في قول الشاعر

جدير (كذا) بيهر والتفات وسعلة ومسحة عشون وقتل الاصابع
وانما قال الشاعر (مليّ بيهر) فقوله جدير سهو منه في اللفظ لافي المعنى لأن
مليّ معناها عنده جدير او حري او او ... وتفسيره مليّ بهذا المعنى هو الذي حمله
على استغراب التقدير في البيت . مع انه لم يرد في كتاب من كتب اللغة مليّ بمعنى
جدير او حري او ما يصح به معنى البيت بالعطف على بيهر ، ولم يسمع هذا المعنى
حقيقة ولا مجازاً الا اذا استعمله بعضهم وحمله على المجاز من عنده تجوزاً ولا
يخفى ان اللغة سماعية توقيفية لا يُحتج بالاصطلاح والاستعمال فيها . وحاصل ماورد
في كتب اللغة ان مليّ (؟) من مليّ كسمع فعمل بمعنى مفعول ومعناه مملوء ومنه مليّ
للغني لامتلاء خزائنه بالمال والحسني القضاء لامتلائهم علماً وحكمة فيقال فلان مملوء
بالبهر والعي ولا يقال مملوء بالالتفات ومسح الاحية وقتل الاصابع . فاذا سَخَفَ المعنى
وجب التقدير وان استقام النظم . وببحث خطأ المعاني وصوابها والحذف والتقدير
لذلك مذكور في محله من كتب البلاغة . واليك خلاصة ماورد في معنى مليّ بالهمز
قال في القاموس : مَلَأَ كَمَع مَلَأً وَمَلَأَةً بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَمَلَأَهُ تَمْلِئَةً فَامْتَلَأَ
وَمَلَأَ وَمَلِئَ كَسَمِعَ اَقُولُ (وَمَلِئَ مِنْ مَلِئٍ) هذه . وقال في تاج العروس :
ورجل مليّ جليل يملأ العين . وفلان املأ لعيني وهو رجل مالى للعين . ومنه
حديث عمران انه ليخيل اليها اشد ملأة . الى ان قال في آخر المادة وهو ملآن
من الكرم ومليّ

فلا وجه لاستغراب التقدير في البيت حينئذ الا اذا جوزنا قول من يقول فلان
مملوء بمسح العشون وقتل الاصابع ولم نستسخفه . أو وجدنا معنى للمليّ يصح به العطف
على بهر وكان هذا المعنى وارداً في اللغة حقيقة أو مجازاً واستعمله من يعتد ويحتج به
(متأدب)

(المنار) صححنا البيت في الجزء الماضي فلم يبق محل لما ذكر في هذا الجواب في شأن استبدال كلمة جدير بكلمة مليء، والواجب حصر الكلام في ضبط البيت وبيان معناه بالألفاظ التي ورد فيها

ادعى (التأدب) المجيب ان حاصل ما ورد في كتب اللغة ان مليء معناه مملوء، وأنه من مليء كسمع وأنه يصح ان يقال: فلان مملوء بالهر، ولا يصح ان يقال مملوء بالالتفات ومسح اللحية وقتل الاصابم — فلماذا وجب التقدير عنده . وهو هو الذي قال ان التقدير: وله التفات وسعلة الخ ولا وجه لاستغراب التقدير عنده الا في الحالتين اللتين ذكرهما في الجواب وهما عنده في حيز النفي هذا حاصل جوابه. ما ذكره وبنى عليه جوابه من ان حاصل ما في كتب اللغة ان « مليء » معناه مملوء، وأنه من مليء كسمع — غير صحيح، فما كل مملوء يسمى مليئاً، ولا كل ما أطلق عليه لفظ مليء يصح أن يطلق عليه لفظ مملوء، وان كان لا يخلو الاستعمال من المناسبة لاصل معنى المادة. ولا مليء من مليء كسمع. قال في لسان العرب: والملاء الزكام يصيب من امتلاء المعدة وقد ملأ فهو مليء، وملئ فلان واملاءه الله: أركمه فهو مملوء، على غير قياس — ثم قال — وقد ملأ الرجل يملأ ملأه فهو مليء: صار مليئاً اي ثقة، فهو غني مليء بين الملاء والملاءة — ممدودان — وفي حديث الدين « اذا اتبع احدكم على مليء فليتبع » المليء بالهمز الثقة الغني. وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء. وفي حديث علي كرم الله وجهه « لا مليء والله باصدار ما ورد عليه » اه وفي القاموس المحيط: والملاء الاغنياء الممولون أو الحسنو القضاء منهم، الواحد مليء اه وقد غفل (التأدب) المجيب عن قوله « منهم » فظن ان المليء يطلق على الحاكم الحسن القضاء لامتلائه علماً وحكمة . على ان له ان يقول هذا من تلقاء نفسه تجوزاً وان كان في جوابه ما يدل على عدم الجواز . فالقول الثاني من قول القاموس ان المليء يطلق على الغني الحسن القضاء أي الوفاء لا على كل غني . ومثل هذا لا يجوز ان يقال فيه مملوء . وفسر الجوهري المليء بكثير المال أو الثقة الغني — والفويومي بالغني المقتدر . حكاهما شارح القاموس وفي مجاز الاساس ما نصه : وما كان هذا الامر عن ملأ منا أي مملأة

ومشاورة. ومنه: «ومليء بكذا: مضطلع به. وقدموا به ملاءة وهم مليئون به وملاءاه هذا حاصل ما ورد في كتب اللغة في الكلمة لا ما قاله المجيب . ومنه يعلم أن أظهر هذه الأقوال في تفسير البيت أن «مليء» فيه بمعنى مضطلع ، وحاصل المعنى أن هذا الخطيب الذي يذمه الشاعر لا قوة له على الخطابة ولا اضطلاع له بها وإنما هو مليء مضطلع بصفات الهي والحصر كلها ، وهي البير الذي هو انقطاع النفس وتردده من الأعياء ، والالتفات ، ومسح اللحية ، وقتل الأصابع . فالمضطلع بالامر هو القوي عليه القادر على احتماله. ويصح أيضا أن يقال أنه غني وثقة بهذه الصفات، أي لأنه فقير من الفصاحة والبلاغة ، وما به تكون الخطابة ، أولا ثقة به في ذلك ومن البديهي أن كلمة مملوء لا تحمل محل كلمة مضطلع ولا كلمة ثقة ولا كلمة حسن القضاء أي لما عليه من الحق ، بل ولا محل كلمة غني ومزكوم ، ولكن معنى الامتلاء يناسب هذا المعنيين في الجملة دون معنى المضطلع والثقة . ولم يرد عنهم: إناء أو دلو أو ذق مليء ، كما يقال مملوء . فالفرق بين مليء ومملوء مثل الصبح ظاهر ثم اننا نقول إذا جرى (التأديب) في فهم كل استعمالات اللغة على الطريقة التي جرى عليها في فهم هذه الكلمة (مليء) فاته الفهم الصحيح في أكثرها . وأضي بهذه الطريقة أن يعتمد إلى كلمة من أصل المادة ويحمل عليها كل معنى حقيقي ومجازي لها . مثال ذلك قولهم : اضطلع بالامر . أصل معناه الاشتقاق : احتملته اضلاعه ، ولكنه يقال في الأمور المعنوية . ومنه قول علي كرم الله وجهه في صفة النبي (ص) فاضطلع بأمرك لطاعتك . فسروه في كتب اللغة والحديث بقولهم : قوي عليه نهض به . وليس أمر الوحي والدين مما تحمله الاضلاع ، وإنما يحمله العقل والروح ويؤديه اللسان .

هذا ما ظهر لنا . فما يقول في البيت أدباء مصر كالشيخ المرصفي والشيخ محمد المهدي واسماعيل باشا صبري وحقني بك ناصف واحد بك تيمور وحافظ بك ابراهيم ومحمد بك المويلحي وسائر الكتاب والشعراء ؟

تقريظ المطبوعات الجديدة *

﴿الواجب﴾

(مؤلفه الفيلسوف الفرنسي جول سيمون . وقد ترجم الجزء الاول منه بالعربية محمد افندي رمضان والشيخ طه حسين . وطبع بمطبعة الجريدة . وصفحاته ٧٤ والمترجمين مقدمة وترجمة للمؤلف في بضع صفحات الكتاب من أشهر كتب الفلسفة التي تقحها عقل ذلك الفيلسوف الفرنسي . الشهير وموضوع الجزء الاول المترجم منه مبحث الاختيار، ومذهبه فيه كذهب أهل السنة وسط بين مذهبي الجبرية والقدرية . وقد عقد فيه فصلا طويلا للكلام في العادة ومكان الاختيار منها وتأثيرها في أعمال الانسان

﴿شرح ابن عقيل على الالفية﴾

هذا الكتاب من أشهر كتب النحو وأكثرها تداولاً ، وقد طبع مرارا كثيرة طبعات لا نستحق الذكر حتى طبعه منذ عامين صاحب المكتبة الازهرية الشيخ محمد سعيد الرافعي بمطبعة السعادة طبعة جميلة على ورق جيد بقطع أصغر من قطع المنار وأكبر من قطع رسالة التوحيد . ووضع له في أدنى الصفحات حواشي في اعراب ما يشكل من أبيات الالفية وأبيات الشواهد ، وتفسير الكلمات الغريبة في أبيات الشواهد مع عزو الايات الى قائلها . ومتن الالفية في هذا الشرح مضبوط بالشكل الكامل . فترجو لهذه الطبعة ما تستحق من الانتشار ، وهو يطلب من طابعه ومن مكتبة المنار بمصر

(ديوان الحماسة)

اعاد الرافعي أيضا طبع ديوان الحماسة في مطبعة السعادة مع شرح غريبة له المختصر من شرح التبريزي ، طبعه على ورق جيد وضبط الايات ضبطا تاما نادر الغلط .

(* عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

٥٠٥ [المنار : ج ٥ م ١٨] تقریظ المطبوعات الجديدة

وقد امتازت هذه الطبعة على طبعته الأولى له بتراجم معظم شعراء الحماسة وبذلك سبب الشعر. وصفحاته ٣٣٢ بقطع شرح ابن عقيل ويطلب من طابعه ومكتبة المنار بمصر ولعمركم الله ان هذا الديوان بهذا الشرح لمن أنفع الكتب لطالب العربية حتى انه كاد ليفني عن شرح التبريزي نفسه وقد عني الرافي بتصحيحه عناية عظيمة المزهر

في علوم العربية وأنواعها للعلامة جلال الدين السيوطي (جزآن) وبهذه المناسبة نقول ان الرافي أعاد طبع كتاب المزهر النفيس الشهير منذ بضع سنين على ورق جيد بمطبعة السعادة بمصر

(دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم)

من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

هذا الكتاب من جمع ورواية الامام القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٥٤ وهو منقول بالرواية سماها من ناسخه عن القاضي سناء الدين أبي عبد الله محمد العامري بمصر سنة نسخته له - من الشريف القاضي الخطيب فخر الدولة أبي الفتوح ناصر بن الحسن بن اسماعيل الحسيني الزيدي عن أبي عبد الله محمد بن بركات هلال السعيد الغوي عن المؤلف طبع الرافي هذا الكتاب لأول مرة عن نسخة نفيسة وجدت عند البعثة جميل بك العظم مكتوبة بخط حسن على ورق جيد مضبوطة بالشكل التام، كتبها محمد بن منصور ابن خليفة بن منهل برسم ولده منهل، وفرغ منها في ٨ ذي القعدة سنة ٦١١ عن نسخة عليها خط الشريف الخطيب أحذروا الكتاب وصورة سماع رواتها والجازات بها . طبعه بمطبعة السعادة وص ٢٠٨ بقطع ما ذكر آفنا من مطبوعاته ويطلب من طابعه ومن مكتبة المنار

وحسبنا ان نقول: ان هذا الكتاب من نخب كلام أمير المؤمنين الذي انزل الله الحكمة على قلبه ونطق بها لسانه، ولا يجعل أحد ان كلام الامام يعد بعد كلام الله ورسوله في أعلى ذروة البلاغة والفصاحة والحكمة البالغة والآداب الجامعة .